محاضرات في تحليل الخطاب

الأستاذ :بن تومي اليامين

فهرس المحتويات

1-مقدمة

2-تحليل الخطاب ؛في التأسيس المفاهيمي .

3-منطلقات تحليل الخطاب ،مقدمات مفتاحية .

4-السردية و السرديات ؛نحو تنويع تطبيقي

5-النموذج الوظائفي لبروب ؛بداية التأسيس

6-في مفهوم السرديات والسردية

7-عتبة العلاقات السردية

8-الأثر المفتوح ؛تحليل وضعيات الخطاب للسيد سيغما

9-الحجاج و المحادثة في النص السردي

مقدمة :

تشتغل هذه المحاضرات على تحليل جملة من الاصطلاحات المهمة ،و التي تشكل مفاتيحًا جوهرية لفهم طبيعة المادة المدروسة ،فتذليل المصطلحات ووضعها وضعا تبسيطيا، يُمكِّن الطالب من فهم طبيعة المادة المدروسة، وتخريجها مع ما يروم التخصص الدقيق ،لذلك تعمل الإحالات التأسيسية لوضع تصور دقيق للحقول المنهجية التي يخوضها تحليل ما .

و تأتي أهمية هذه المادة في جعل الطالب ينتقل بسلاسة من فهم للجهاز النظري، إلى ممكن تحليل النص أو الخطاب، وفق ما تعرضه المناهج النقدية المعاصرة ،حيث لقيت الدراسات التحليلية للنص نصيبا وافرا من التأسيس و الاشتغال، لذلك تعتبر المداخل النظرية التي وضعتها اللسانيات من خلال كتاب "فرديناند دي سوسير""محاضرات في اللسانيات العامة" اللبنة الأولى في ضخ اصطلاحية جديدة مركبة ومعقدة، تحتاج إلى بسط وتحليل عميقين لإعادة تصور أمثل للظاهرة الأدبية في قطيعة جوهرية من التصورات الكلاسيكية السابقة لدي سوسير ، وهنا تعتبر المفاهيم القاعدية التي وضعها دي سوسير في تمييزة بين اللسان و اللغة و الكلام الأساس الارتكازي لتلك الثورة أو لذلك المنعطف الجوهري الذي قطع الصلة بالدراسات الفيلولوجية التي كانت تجعل النص محالا على سياقات خارجية ،فأعادنا الأخير مرة أخرى إلى النص ذاته .

الفصل الأول

الحقلين المفهومي والابستيمولوجي للخطاب

*مقدمات نظرية *

تحليل الخطاب ؛في التأسيس المفهومي

علينا وضع تصور متكامل عن التأسيسات النظرية الكبرى لمجال تحليل الخطاب، ذلك أن وضع المادة /العينة البحثية ضمن إستراتيجية خطيَّة يُمكِّننُا من فهم الظاهرة التي نحن بصدد بحثها أو دراستها، ذلك أن الخطاب هنا ؛المراد تشريحه و البحث في ممكناته مسبوق بلفظة analyse تحليل .

ما معنى تحليلي ؟analytique ، أو علم التحليل الذي يحلينا على تداخلات قوية من التحليل إلى التحليلي ،الذي يُعنى بالتعرف على الدَّاء أو تبحث في أغراض الداء من المحاليل ،بينما تحليل من مادة "حلل" بمعنى فكك .

لذلك تمتح هذه المادة من مجال عام هو مادة الفلسفة التحليلية ،و إن كان مادة "تحليلي" التقطت عناصرها من مجالات معرفية مختلفة قبل ورود الفلسفة التحليلية، لكن هذه الأخيرة تعدُّ هي المسار التأسيسي الفعلي لمجال تحليل الخطاب ،لأن الرأي السائد ضمن هذا المجال هو أن العديد من الباحثين ينزعون إلى تصور معيَّن لفهم آليات التحليل دون أن يعمقوا البحث في كلمة "تحليلي" التي تؤول إلى النزعة الإمبريقية التي يهدف إليها البحث بشكل عام .

و لقد ميز المعجم الفلسفي بين لفظتي تحليل analyseوتحليلي analytique يفهم من تحليل ما يلي[1] :

1-عند الإغريق؛ منهج أو طريقة، يمكن بها تقديم أو إظهار اقتراح بدفع التصور على التصور إلى أن نصل إلى اقتراح أمثل .

2-دراسة العلاقات المستقلة بين العناصر الكبرى .

3-في الكيمياء ؛تحليل الكل إلى عناصر صغيرة .

4-في فلسفة المعرفة ؛طريقة المعرفة التي ترتكز على نموذج رياضي -الجبر-للحل مع النموذج الفيزيائي مثلا .

5-المصطلح المجاور؛ فكَّ ،فَتحَ.

6-المصطلح المرادف ؛القضية ،منطق ،منهج .

أما مصطلح "تحليلي" يفيد التوجه الفلسفي الذي تطور في بداية القرن العشرين في انجلترا على يد كل من برتراند راسل و ألفريد .ن. ويتهايد حيث عملا على تجاوز المشكلات انطلاقا من تأسيس فلسفة معرفية بداية من منطلق منطق الكلام logique du langage.

فكلمة تحليلي نمت كما هو معروف في دائرة الأبحاث المنطقية في نهاية القرن العشرين، خاصة من خلال الفكرة التي طورها غوتلوب فريجيه حول اللغة الشكلية التي يمكن أن

[1]-Dictionnaire la philosophie de A a z edition Hatier . p :16/17.

تكون نموذج للفكر المحض ،بمعنى لغة رمزية لترتيب الأفكار .وهنا تقول الباحثة مليكة موباني:"هكذا إذن تلقى لفظ تحليلي في البداية معنى المبني، و قد أعيد تحديده و بحصره خاصة على قواعد منطقية هذا الحصر مس في مرحلة أولى الرياضيات مع فريجيه وراسل الذي سار على هديه"[2] هذا التأثير كان بداع الفلسفة الوضعية التي تهدف إلى تحويل الدراسة الفلسفية إلى مبحث منطقي ذي منزع رياضي، حيث يشكل المنعطف اللغوي عند الفيلسوفين: برتراند راسل و فيتغنشتاين مركز التفلسف لأن "كل فلسفة هي نقد للغة " [3]،وهنا فقط نلج إلى مجال المواصفة لموضوع المادة "تحليل الخطاب " ضمن ثلاثة مفاصل أساسية :

-المنعطف التحليلي ،فلسفة اللغة ،قراءة في التحولات الكبرى .

هذه التأسيسات تحاول أن تنفذ إلى عمق الدراسة الأدبية، التي تنفصل على التراكم العام للنقاش الدائر حول أصل اللغة، و الفروق الجوهرية بين اللغة العادية و الصناعية من جهة ،و اللغة الأدبية وغيرها من جهة أخرى ،فهذا التحديد سيجعلنا نفهم الحراك الفلسفي وعلاقته بالأدبي .هذا التدقيق يدفعنا إلى تحديد اشتغال تحليل الخطاب الذي يراه ج.براون .و ج يول في قولهما: "إن تحليل الخطاب بالضرورة تحليل اللغة في الاستعمال "[4] وهذا ما يقره كذلك فرانسين مازيير francine maziére حين يقول :"خصائص تحليل

---

[2]- مليكة موباني ،ما ذا يعني مصطلح تحليلي ،مجلة آيس ، العدد 2 ، 2007,ص: 07.

[3]- المرجع نفسه ،ص : 08.

[4]-ج ، ب،براون , ج يول ، تحليل الخطاب ،ترجمة ؛محمد لطفي الزليطي ،منير التريكي ، ص 01.

الخطاب أن يقيم بجانب علوم اللغة " [5]،يجب الرجوع أولا للمفاهيم المجال ،المطورة في اللسانيات ،فتحليل الخطاب لا يشتغل حول اللغة باعتبارها نسقا ،بل يشتغل حول استعمال اللغة .

إن محلل الخطاب ملزم بالبحث فيما تُستعمل تلك اللغة لأجله ، إذا مبحث تحليل الخطاب يهتم بالجانب الاستعمالي للغة ،لكن قبل التفصيل في موضوع الخطاب علينا أن نحدد متى بدأ مبحث تحليل الخطاب Analyse du Discours؟ يتصور كلا من باتريك شاردو و دومينيك مانغنو ؛ أنه من الصعب وضع تصور دقيق لتاريخ تحليل الخطاب، أو تعيين حدث ما يمكن الانطلاق منه في وضع تصور تحديدي لمعني هذا التركيب "تحليل الخطاب"، مع ما يجب أن نشير إليه من الممارسات التطبيقية على النصوص من خلال التخصصات القديمة؛ البلاغة و الفيلولوجيا و الهرمنيوطيقا ،لكن مصطلح تحليل الخطاب ظهر لأول مرة ضمن مقال لـــ: ز.س. هاريس 1950الذي عني في بحوثه لفهم الإجراءات و تبادلات الوحدات الجملية، لكن التأسيس الفعلي لهذا الحقل كان في سنوات الستينيات، لما كان يعني التيارات التي تحرك الواقع الحقلي لتحليل الخطاب، ونخص بالذكر :اثنوغرافيا الاتصال ،تحليل المحادثة ،وما قدمته مدرسة باريس من تطوير لتيارات التداولية ؛نظريات التلفظ ،و اللسانيات النصية . ويجب ربطه بتأثيرات شتى ميادين من أبحاث ميشال فوكو 1969الذي دفع تاريخ الأفكار نحو دراسة مختلف التلفظات، أو التي

[5]-Francine maziére , l'analyse du discourse 2 Edition 2007. P : 07.

جاء بها باختين و التي تخص بصفة خاصة أجناس الخطابات ،و البعد الحواري للعملية الخطابية [6].

وهنا يضيف معجم اللسانيات وعلوم اللغة يقول: " نسمي تحليل الخطاب المقطع اللساني الذي يحدد القواعد التي تتحكم في إنتاج جمل بنيوية .تحليل الخطاب أو تحليل التلفظ يجد أصالته في التضمينات التي وضعها فرديناند دي سوسير .بين اللغة والكلام"[7] .و لقد اعتبر كلا من باتريك شاردو ودومينيك مانغنو أن دراسة تحليل الخطاب تقتصر على القضايا التالية :

*تحليل الخطاب باعتباره دراسة للخطاب؛ أي دراسة الاستعمال الحقيقي للغة من قبل متكلمين حقيقيين في وضعيات حقيقية .

*تحليل الخطاب باعتباره دراسة للتحادث .

*تحليل الخطاب باعتباره وجهة نظر خصوصية إلى الخطاب، وعلينا أن نميز بين الاختصاصات المختلفة لاشتغال الخطاب وهنا نتحدث عن الخطاب ب"أل" /الخطاب حيث؛

-يعني تحليل الخطاب ب(أل) : نظرية عامة للخطابية .

---

[6]-patrik charaudeau .dominique maingueneau .dictionnaire D'analyse du discourse edition seuil .paris 2002.p : 41

Dictionnaire de linguistique et des sciences du languages .édition larousse 1999. P : 34.[7]

–و يعني تحليل خطاب : فكرة ، الخطابات الإنسانية المختلفة ، ويرتبط الخطاب عادة بالمقام ، لذلك هناك وجهات نظر خاصة للخطاب من جهة كونه أدبي أو غير أدبي ، و الأدبي من كونه محكي أو مكتوب .

"ظهر مصطلح خطاب في حقل الدراسات اللغوية في الغرب ، و نما وتطور في ظل التفاعلات التي عرفتها هذه الدراسات ولاسيما بعد ظهور كتاب فرديناند دي سوسير "محاضرات في اللسانيات العامة"؛ الذي تضمن المبادئ العامة الأساسية التي جاء بها الأخير، وأهمها: تفريقه بين الدال و المدلول واللغة كظاهرة اجتماعية، و الكلام كظاهرة فردية و بلورته لمفهوم "نسق" أو "نظام"الذي تطور في ما بعد إلى بنية[8]، وهذا ما يقره كذلك الباحث زكرياء ابراهيم في كتابه القيم مشكلة البنية في قوله :".

و لقد اتخذ مصطلح "خطاب" كما أقره الباحث ابراهيم صحراوي مفاهيما متعددة أهمها ؛

أ–" خطاب مرادف للمفهوم السوسيري "كلام" و هو معناه المعروف به في اللسانيات البنيوية".

ب– الخطاب منسوب إلى فاعل ،وحدة لغوية تتجاوز أبعادها الجملة أو مقول .

ج– يتحدد مفهوم الخطاب في المدرسة الفرنسية لدى مقابلته بمفهوم "المقول"؛ هو تتابع جمل مرسلة بين فراغين معنويين ، بين توقفين للعملية الابلاغية ، أما الخطاب فهو المقول منظورا إليه من زاوية الميكانزمات الخطابية المتحكمة فيه أو المكيفة له ، وهكذا فإن نظرة النص من حيث كونه بناء لغويا تجعل منه مقولا، أما البحث في ظروف وشروط إنتاجه فتجعل منه خطابا.

[8]–ابراهيم صحراوي ،تحليل الخطاب الأدبي ،دار الآفاق للنشر،الطبعة الأولى 1999.ص: 9.

و الخطاب حسب "بنفنيست"هو كل مقول يفترض متكلما و مستمعا، تكون لدى الأول نية التأثير في الثاني بصورة ما"[9] .وعلى الرغم من هذه التحديدات الدقيقة فإننا نجد عبد الهادي بن ظافر الشهري يحدد إطارا آخر للخطاب حينما يقول :"أما في الأدبيات الحديثة ،فقد ورد مصطلح الخطاب ،غالبا ، و لأول مرة ،عند هايمز (..)ولهذا،فهو يطلق ،إجمالا ،على أحد مفهومين ؛يتفق في أحدهما مع ماورد قديما ،عند العرب ،أما في المفهوم الآخر فيتسم بجدته في الدرس اللغوي الحديث .

وهذا المفهومان هما :

-الأول :أنه ذلك الملفوظ الموجه إلى الغير ،بإفهامه قصدا معينا

-الآخر :الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة "[10]،وعليه تتوزع النظرية الخطابية جملة من الاختصاصات التي تساهم بشكل ما في دراسته وفق التحديد الذي نباشره ؛

-الخطاب من جهة ما هو كلام مباشر ،إي استعمال يومي للغة تدرسه التداوليات

-الخطاب من جهة ما هو "نص" تدرسه البنيويات و السيميائيات .أي أننا ننتقل من الخطاب إلى الخطاب الأدبي نالذي يعني بشكل خاص بدراسة الخصائص الأدبية التي تميز ما هو أدبي عن غير ما هو أدبي .

فالأدبية هي بحث في خصائص النص ،بمعني الاحتفاء بالتفسير ضد التأويل ،لأن الأدبية هي الإقامة داخل النص بمعنى تمزيق العلاقة بين النص و العالم ،و الإقامة في نسيج العلاقات الداخلية بعيدا عن أي تأويل خارجي ،لذلك فالنص بالمفهوم الادبي يفسر العلاقة

---

[9]-المرجع نفسه .ص:10.9.

[10]-عبد الهادي بن ظافر الشهري .استراتيجية الخطاب :مقاربة لغوية تداولية دار الكتاب الجديد المتحدة. ليبيا .الطبعة الأولى 2004.ص :36.

بين البنيات المختلفة أي فيما يتركب منه النص كنص .أي أن نعود على ماهية النص لا ماهية العالم حيث يحدد سؤال الماهية ماهو الأدبي ؟

أي ما يتشكل به النص الأدبي أدبا كما قال ياكبسون ،"ليس موضوع علم الأدب هو الأدب بل الأدبية "أي أن السؤال ليس ما هو الأدب ؟ حيث إنه سؤال فلسفي في الأصل ،فالشكلاني ضد أسئلة العالم الكبير ،إنه مع الأسئلة الداخلية العميقة و الجزئية التي يتركب منه موضوع الأدب وهو الأدبية ،أي الموضوع ليس الشكل الأدبي بل هو ما يجعل شكلا ما أدبيا .ما هي العناصر الداخلية في الأدبية التي تجعله أدبا ،وعليه هل قيم الأدبية حاضرة ماديا في النص أم أنها قيم متعالية .بمعنى أن الأدبية هي الخطاطة المتعالية للأدب إنها ما يتراكب في العقل المجرد وهذا ما يقول عز الدين المناصرة "علم الأدبية الذي يدرس الخصائص المتعالية في الخطاب الأدبي "
أي أن الأدب هو الوعاء الذي يسم النص ،أم الأدبية فهي القوانينن القبيلية التي تحلل قاسما مشتركا بين الاعمال الادبية "بمعنى يمكننا أن نقول أن الأدب هو المجرى العام ،بينما الأدبية هي الخطاطة الذهنية لماهو أدبي ؟

إذا نحن أمام سؤالين :

-ما الأدب ؟وهو سؤال فلسفي يتعلق بالوظيفة الكلية .

-ماهي الأدبية ؟ سؤال بنيوي يتعلق بالنموذج أو الخطاطة الذهنية .

يقودنا المنظور الأول ما الأدب إلى مرجعية كبيرة في الثقافة الغربية ،و ذلك السؤال الذي طرح دون بول سارتر في كتابه المرجعي "ما الأدب حيث يطرح الفيلسوف مسألة عميقة في هذا الكتاب تتعلق أساسا بقضية الالتزام والموقف الوجودي ،ويطرح هذه المسائل ضمن مقالات أكثر ما يقال عنها انها تحاول ان تبرر لموقف الفيلسوف معن ما يسميه بالأدب الملتزم ،ضمن نقاط أساسية ومهمة .لماذا نكتب و لمن نكتب وموقع الكاتب عام

1947؟ والملاحظ ان هذه العناصر خارج الأدبية ،هي جزء من سؤال الوجود ككل ،او ما يطرح الموجود من فمر على العالم الذي ينتمي إليه ،حيث يطرح جون بول سارتر في مقدمة كتابه تشابكا مرعبا عن الأسئلة المحرجة التي تفضل بها عدد من قراءه يقول :"كاتب شاب أحمق يقول عني ،إذا كنت تريد ان تلتزم ،فماذا تنتظر كي تنضم إلى الحزب الشيوعي ؟ويقول كاتب كبير التزم في أدبه أحيانا كثيرة ،ولم يلتزم كذلك في أكثر الأحيان .ولكنه نسي طابع إنتاجه :شر الفنانين أكثرهم إلتزاما ،مثلا الرسامين السوفيتين ،و يشكو مني ناقد شيخ ؛هماسا :غنما تريد إغتيال الأدب ،ففي مجلتكم يتبدى في وقاحة احتقار فنون القول و الكتابة (..)وما دام النقاد يدينوني باسم الأدب ،دون أن يقولوا أبدأ ما يفهومنه من مدوله ،فخير ما نجيبهم به أن نبحث فن الكتابة بدون مزاعم ،متسائلين :ما الكتابة ؟ ولماذا نكتب ؟ ولمن ؟ "[11]. يبدو أن هذا السؤال يجعلنا نبحث خارج الأدبية وهذا ما أشار له جوناثان كلر حين قال :"ما الأدب ربما يظن القاريء أن هذا السؤال سؤال رئيسي للنظرية الأدبية ولكنه في الحقيقة قد لا يبدو موضوعا بالغ الأهمية بالنسبة إليها "[12].ذلك أن هذا السؤال يفتح المجال واسعا خارج الأدب إلى باقي الحقول المعرفية ،وما يجعل الأدب أدبا هي هويته ،أو لنقل بتعبير فينمولوجي أن ندرس الادب معناه إلى نعود على ما ماهية ما يجعل النص أدبا ،ونكون هنا في أس الدراسات التي قدمتها الشكلانية الروسية •لذلك تعتمد رؤيتهم على أطروحتين هما :

---

[11]–جون بول سارتر ،ما الأدب ،ترجمة محمد غنيمي هلال .نهضة مصر للطباعة و النشر القاهرة . ص: 7–8.

[12]–جوناثان كلر ،مدخل النظرية الأدبية ،ترجمة مصطفي بيومي عبد السلام .المجلس الاعلى للثقافة .الطبعة الأولى 2003.ص : 37.

•–تتجاوز الشكلانية الروسية سؤال ما الأدب ؟غلى ما الأدبية ؟ أي أنها تتجاوز وضع الأدب وصعا فلسفيا حيث إنها لا تحفل كثيرا بتلك التخريجات التي جعلتها فيما فكتور ايرليخ :"لقد قدمت الشكلانية الروسية إلى القراء باعتبارها ،في غالب الأحيان ،صياغة متشابكة لمذهب الفن للفن الذي ساد في القرن التاسع عشر ،وهذه الفكرة مضللة جدا ،إذ الحقيقة ان الشكلانيين الروس لم يشغلهم جوهر الفن و لا أغراضه أو اهدافه .و قد حاولوا ،نظرا لميلهم الوضعي الجديد التنصل من كل المسبقات الفلسفية فيما يتعلق بطيعة الخلق الفني كما لم يهتموا بالتأمل في الجمال و المطلق "

"–تشديدهم على الأثر الأدبي و أجزاءه المكونة .

–إلحاحهم على استقلال علم الأدب "[13].فالأدبية تتشكل من داخل ما يميز النص ،تتراكب في عمق النص الأدبي باعتباره وحدة لغوية مستقلة ،فالأدبية هي ما يشكل قوة النص الذاخلية في طابع مجرد في النص الواحد ،وهي كذلك ما يطلق عليه ؛السمات الأسلوبية المسيطرة La fonction dominante"ويمكن تحديد المسيطر بوصفه ذلك المكون المحوري في العمل الفني ،ذلك يتحكم في المكونات الباقية ،ويبث فيها ويغيرها .إنه المسيطر الذي يأخذ على عاتقه كمال البنية "[14].هذا المهين هو الذي يحدد طبيعة العمل الذي يضطلع بها الأديب و الناقد فيما يقول ياكبسون "ليس الأدب في عمومه ما يمثل موضوع علم الأدب ؛إن موضوعه هو الادبية ،أي ما يجعل من أثر ما أثرا أدبيا" و يضيف ايخنباوم "إن الناقد الأدبي ،بوصفه ناقد أدب ،لا ينبغي له ان يهتم إلا بالبحث في السمات المميزة لمادة الأدبية "[15].

لهذا جاءت الشكلانية الروسية لترد على القراءات الخارجية /السياقية هذه الردة التي أسست لها المدرسة في شكليها :

–حلقة براغ

–حلقة أبوياز

فيكتور ايرليخ ،الشكلانية الروسية ،ترجمة الولي محمد .المركز الثقافي العربي الدار البيضاء /بيروت الطبعة الأولى 2000.ص: 13.

[13]–المرجع نفسه .ص: 14.

[14]–ك.م.نيوتن ،نظرية الأدب في القرن العشرين ،ترجمة عيسى علي العاكوب ،عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية الطبعة الأولى 1996.ص: 24.

[15]–فكيتور ايرلخ ،الشكلانية الروسية . ص: 14.

حيث كانت هذه الحركة رد عنيف ضد التأويل التاريخي الذي جر أزمة منهجية على طبعة المعرفة البشرية ،حيث كان الاشتغال دوما ما ينصرف عن النص ليهتم بنفسية المؤلف:"إن مكمن خاصية الأدب ينبغي البحث عنها في الأثر الأدبي نفسه ،وليس في الاحوال النفسية للمؤلف أو القارئ "[16].معنى أن الدراسات السياقية تحتفى بالايديولوجي والفلسفي الذي يجعل النص تابعا لا مركزا .

مع الشكلانية الروسية تم الانتقال إلى مركز مغاير وهو النص في عينيته ،هنا فقط يمكننا أن نتكلم عن الطبيعة التي بات يمتلكها النص باعتباره خطابا مكتوبا ،وغالبا ما تختلط الدلالة بين النص و الخطاب ،لذلك عملت مدرسة باريس على حلحة الخلاف باستخدامها النص بالمعنى نفسه الدي تستعمله للخطاب ،أو تجعل الخطاب مرادفا لمعني النص :"كلمة "نص"لا تحيل ،رغم تعريف جار يجعل منه "كل خطاب مقيد بالكتابة ،بالدرجة الأولى على المكتوب ،و المقابلة بين نص مكتوب و خطاب شفوي هو حصر للفرق في الحامل وحجب لكون النص في أغلب الوقت متعدد السمات ..ومن المستحسن أن نميز بين النص و الخطاب باعتبارهما الوجهين المتكاملين لشيء مشترك تتكفل به اللسانيات النصية –التي تفضل تنظيم السياق الداخلي و الاتساق باعتبارهما انسجاما لغويا ، ونحليل الخطاب الذي يولى سياق التفاعل اللغوي و الانسجام عناية أكثر باعتبارهما نفسه "[17]

مع الشكلانية الروسية تم الانتقال إلى مركز مغاير وهو الخطاب الأدبي ،أي داخل النص ،هنا فقط يمكننا ان نتكلم عن الطبيعة التي بات يمتلكها النص باعتباره خطاب مكتوبا له سمات وخصائص محدد تميزه عن غير ما هو أدبي .مع أن هذه الأدبية مختلف في حقيقته هل هي سمة نصية خالصة ام أنها رؤية منظورية من الجماعة التي القارئة التي تستعمل

---

[16] المرجع نفسه . ص: 15.

[17] –باتريك شارودو ،دومينيك منغنو.معجم تحليل الخطاب ،ترجمة عبد القادر لمهيري /حمادي صمود .المركز الوطني للترجمة ،تونس 2008.ص :553.554

نصا ما بوصفه أدبا. و بالتالي لا يمكننا الجزم بالصفة الادبية لأنها متعددة يقول تيري ايغلتون :"صحيح أن كثيرا من الاعمال الأدبية التي تدرس في المؤسسات الأكاديمية بوصفها أدبا كانت قد بُنيت لتقرأ على هذا النحو ،لكن من الصحيح أيضا أن كثيرا منها ليست كذلك ،ويمكن لقطعة من الكتابة أن تبدأ حياتها باعتبارها تاريخا أو فلسفة ومن ثم يمكن تصنيفها كأدب ؛أو يمكن لها أن تبدأ حياتها كأدب ومن ثم يتم اعتبارها قيمة بسبب من دلالتها الأركيولوجية .وبعض النصوص تولد ادبية ،وبعضها يحقق الأدبية وبعضها تضفي عليه الأدبية إضفاء .وقد يبلغ الاستيلاد في هذا الصدد قدرا أكبر بكثير من الولادة ،وقد لا يكون مهما من أين أتيت و إنما كيف يعاملك الناس .فإذا ما قرروا أنك أدب فسيبدو عندها أنك كذلك بصرف النظر عما تحسب أنك عليه "[18] .

وعليه نكون أمام شكلين من الأدبية ؛

-أدبية نصية ؛تعمل على استجلاء السمات الأدبية في النص .

-أدبية القراءة ؛تكون انطلاقا من استعمال النص من طرف مجموعة من القراءة على اعتبار أنه كذلك .وهنا نكون قد انتقلنا إلى محور آخر وهو نظرية القراءة .وهنا نجد أن الأبحاث التي جرها تحديد الخطاب الأدبي تفرعت عبر مدارس مهمة أثرت النقاس و البحوث فيما بعد ؛

-مدرسة باريس اهتمت بالبنيويات والسيميائيات .

-المدرسة الانكلوسكسونية اهتمت بتطوير التداوليات .

-المدرسة الألمانية اهتمت بتطوير نظريات القراءة و التلقي .

[18]-تيري ايغلتون ،نظرية الأدب ،ترجمة ثائر ديب.دار المدى . ص: 20.

منطلقات تحليل الخطاب

–مقدمات مفتاحية–

تعد الفلسفة التحليلية الأساس النظري الذي انبجست منه الممارسات التأسيسية لتحليل الخطاب ،لذلك لا بد لنا من التركيز على فكرة التطور التاريخي للبدايات التقعيدية لفكرة تحليل الخطاب .

إنّ التفكير باللغة ولها يجعلنا نتجاوز التأثيل التاريخي للتساؤل المستخلص من النزعة التاريخية الجندرية حول أصل اللغة[19] وبأي جنس تعلقت. هذه الأطروحة العنصرية للغة أغرقت البحث اللغوي عموما الذي انتهى الى شجرية عامة للغات عكست البعد الاستعماري للتأويل الإناسي للغات عموما[20].

ولهذا فلا شك أن التشقيق المعرفي لهذا الموضوع؛ "فلسفة اللغة" سنتجاوز به حلقة الجدل التاريخي حول اللغة ذاتها إلى إعادة مفهمتها ووضعها وضعا فلسفيا، لتصبح اللغة هي بؤرة التفلسف أي يصبح التفلسف لعبة لغوية لكونها المنعرج الخطير الذي خلص الإنسان من الالتباسات الثيولوجية والتقنية لكونها المنقذ الوحيد للإنسان من تعسف الآلة؛ لذلك وصفها *هايدغر* بأنها "أخطر النعم"[21].

وتجاوزا لهوس البدايات، نجد أن الباحثين يجعلون *بندتو كروتشة*[22]... أول من بعج مصطلح فلسفة اللغة، غير أن تراكم النقاشات حول مسألة اللغة جعل المعنى العام لها قلقا

---

[19] أخذ الباحثون في علاج هذه المسألة طويلا للبحث عن اللغة الأولى وإشكاليتها المختلفة حول هل اللغة توقيفية أم إصلاحية أو غيرها من الإشكاليات التي ارتبط بهذا المبحث التاريخي للغة.

[20] حيث صنفت اللغات بحسب الأجناس البشرية المعروفة.

[21] محمد سبيلا، عبد السلام بن عبد العالي، اللغة، دفاتر فلسفية، دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الثانية، 1994، ص15.

[22] *كروتشة* (1866- 1952) فيلسوف إيطالي، هيغلي جديد معروف بأعماله في علم الجمال والحضارة والتاريخ، أسس عام 1903 مجلة La critica ونشر فيها معظم أعماله بما في ذلك مراجعات أعمال فلسفية وأدبية معاصرة، أهم أعماله: فلسفة الروح 1902- 1917، علم الجمال باعتباره تعبيرا وعلما عاما للغة 1902، المنطق 1905، فلسفة العمل 1909، النظرية وتاريخ كتابات التاريخ 1917، وغيرها من الكتب؛ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 200، ص268.

ومتوترا نحتاج فيه إلى مساءلة جادة لتصبح بذاتها ولذاتها منعطفا شديدَ الأهمية في الصيرورة الفلسفية انطلاقا من التأثير الذي ضخته **الفلسفة التحليلية**[23]...

وهذا لا يعني التحول عن الموضوعات التقليدية للغة التي اهتمت بعلاقة اللغة بالفكر وعلاقتها بالواقع من خلال الأبحاث التي باشرها عديد الفلاسفة على المستوى المعجمي للمعاني الحافة، أو المستوى المنطقي أو المستوى الدلالي العام.

وعليه فبحث فلسفة اللغة يتعلق أساسا بالتخارجات الفلسفية للأدوار الغرضية العامة للغة فلسفيا أي؛ يتعلق باللغة منظورا إليها فلسفيا. ولعل هذه الدقيقة عبر عنها *أزوالد ديكرو* و*جانماري شافير* حين قالا: " ثمة معنيان على الأقل يضمهما التعبير فلسفة اللغة" فقد يكون المقصود خاصة باللغة، أي دراسة تنظر إلى اللغة من الخارج بوصفها موضوعا معروفا مسبقا وتبحث عن علاقات مع موضوعات أخرى مفترضة وذلك على

يقول جمال أردلان: " ولعلنا لا نجانب الصواب إن نحن قلنا إن الانغلاق على الفكر الفرنسي قد ساهم كثيرا في تكوين صور خاطئة لا عن الفلسفة التحليلية فقط بل أيضا عن الفلسفات الانجلوسكسونية ونعتها بالنزعة الاختيارية الفجة، أما الأمر الآخر الذي يتم غالبا اغفاله فهو أن المحاور التي دارت حولها نقاشات الفلاسفة التحليلية تعود في أصولها الى الفكر الجرماني، أعني الى الفلسفة الألمانية النمساوية. فقد لاحظ الفاحص عناء كبيرا في التدليل على أن معظم القضايا الرئيسة التي ما تزال تطرحها فلسفة اللغة التحليلية تعود في الغالب الى *فريغه* و*فتغنشتاين* الثاني".

[23] جمال أردلان، *فتغنشتاين* ومسألة اللغة، مجلة مدارات فلسفية، العدد2.

ويلاحظ أن الفلسفة التحليلية انقسمت إلى ثلاثة فروع أو اتجاهات كبرى: " الوضعانية المنطقية positivisme logique بزعامة *رودولف كارناب*، والظاهراتية اللغوية phénoménologique du langage بزعامة *إدموند هوسرل*، وفلسفة اللغة العادية philosophie du langage ordinaire بزعامة *فيتغنشتاين*".

مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب؛ دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني، دار الطليعة، الطبعة الأولى، 2005، ص22.

الأقل في بداية الاستقصاء المتميزة وسنتساءل عن العلاقات بين الفكر واللغة – هل لأحدهما أفضلية على الآخر وما هي تفاعلاتها–... وثمة موقف آخر ممكن مع ذلك بالنسبة إلى الفيلسوف الذي يهتم باللسان وإن هذا ليكون بإخضاع اللسان إلى دراسة داخلية وبأخذه هو نفسه بوصفه موضوعا للاستقصاء، فلقد كانت الفلسفة منذ أصولها منقادة إلى هذا الضرب من الأبحاث وذلك بما أنها كانت تقدم نفسها بوصفها فكرا"[24].

وانطلاقا من التيارات التي شكلت تدافعا للمجال الفلسفي للغة مثل الإضافات التي ضختها النظريات المنطقية والألسنية والتأويلية وهنا نكون أمام ثلاثة منعطفات تحدد الانحرافات المنظورية فلسفيا للغة؛

- **الفلسفة التحليلية.**
- المنعطف التأويلي.
- المنعطف اللساني.

وسنقف عند واحد فقط من هذه المنعطفات وأخص بالذكر **الفلسفة التحليلية**وضخها لمسار فلسفة اللغة؛

- **منعطف الاتجاه التحليلي:** هذا المنعطف تمثله مجموعة من التيارات الفرعية: "تيار اللغة العادية عند *جورج مور* و*راسل* و*فيتغنشتاين* الثاني، وتيار اللغة الاصطناعية

[24] *أزوالد ديكور، جان ماري شايفر*، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت، الطبعة الثانية 2007، ص 222.

الذي يدرس اللغة الشكلية أو الصورية ،وهو الاتجاه الذي تمثله الوضعية المنطقية *كارناب* و*آير* التي تقوم على التحليل المنطقي للجمل والقضايا اللغوية. والتحولات التي عرفها هذا التوجهعند *ستروسن* و*كريبك* و*كواين*. تيار أفعال اللغة بزعامة *سيرل* و*أوستين* ضمن مدرسة أكسفورد"[25].

بل إن الفاحص لهذا الاتجاه التحليلي يجده ينبني على مجموعة من النظريات الأساسية سنشير لبعضها:

- **النظرية الوضعية لـــ*راسل*.**
- **النظرية التصويرية لـــــ*فيتغنشتاين* الأول.**
- **نظرية الاستعمال أو الألعاب اللغوية لـــــ*فيتغنشتاين* الثاني.**
- **النظرية العنقودية لـــ*سيرل*.**
- **النظرية السيكولوجية لـــ*غرايس*.**
- **نظرية شروط الصدق لـــ*دافيدسون*.**
- **ونظرية الكلام لـــِ *أوستين* و*سيرل*[26].**

يُلاحظ أن: " *لودفينج فيتغنشتاين*(1889-1951) قد تأثر بالمنحى العام لفلسفة *فريجه*وأسس اتجاها جديدا سماه اللغة العادية وقوامها الحديث عن طبيعة اللغة وطبيعة

---

[25] الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة؛ نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى 2005، ص202.

[26] المرجع السابق، ص202-203.

المعنى في كلام الرجل الإنسان العادي وأهم ما يميز فلسفة *فيتغنشتاين* التحليلية بحثه في المعنى وذهابه إلى أن المعنى ليس ثابتا ولا محددا ودعوته إلى تفادي البحث في المعنى المنطقي الصارم".

مع *فيتغنشتاين* تمت النقلة من النموذج اللغوي القائم على معيار التحقق ليحل معه نموذج جديد **قائم على التواصل والاستعمال،وذلك راجع أساسا إلى انصباب اهتمام فلسفة اللغة على الجانب العادي للغة، وهو جانب التداول اليومي أو الاستعمال اللغوي في عالم المعيشي**،ولعل هذا ما عبر عنه *فيتغانشتين*: "عندما يستعمل الفلاسفة كلمة ما على سبيل المعرفة "الوجود" "الموضوع" "أنا" "القضية" "الاسم" ويطمحون إلى حيازة ماهية الشيء، ينبغي التساؤل دائما هل فعلا لهذه الكلمة نفس المعنى في اللغة التي تمثل موطنها الأصلي، إننا نعود بالكلمات من استعمالها الميتافيزيقي إلى استعمالها اليومي"[27] .

ولعل هذا التخريج هو الذي أدى بالمسار الفلسفي عموما ليشهد ذلك التطور نتيجة التركيز على أس المُواضعة الفلسفية للغة ،وهي التواصل المقوض لفلسفة الذات لتتصهر الجماعة في عالم معيش يسوده الحوار، لذلك لم يعد الاهتمام محصورا باللغة الخالصة وإنما باللغة العادية وللتداول اليومي الفعلي لها، **ذلك جوهر اللغة لا يتحقق إلا من خلال الاستعمال.**

[27] مجلة مدارات فلسفية، العدد2.

ولعل هذا الطرح هو الذي أبان عن فيما بعد نظرية الأفعال الكلامية، ولو تأملنا أطروحة *فيتغنشتاين* سنجد أن تأثير فلسفة *برتراند راسل*[28]فيما يخص المعطيات الأولية للغة تلك الآراء التي ضمنها كتابه "الرسالة" ذلك أن الكون مركب مما لا نهاية من الأشياء والموضوعات، لا يعني البتة وجود موضوعات أولية[29].

هذا التداخل المعرفي في مدونة *فيتغنشتاين* يكشف ذلك التناص، وخصوصا في مسألة تصوير الفكر، هل هو انعكاس للعالم، وتوصل إلى المطابقة بين عالم اللغة وحدود اللغة، ولعل هذه القضية أثارت لدى *فريجهجوتلوب*[30]حول مسألة "المرجع والمعنى" ومدى التطابق بين حدود اللغة وحدود العالم يقول: " عندما نتأمل مفهوم التساوي لأنه يطرح علينا بعض المسائل التي لا تحتمل التأجيل وإن كان ليس من السهل الإجابة عنها.

---

[28] *برتراند آرثر وليام راسل* هو فيلسوف ورياضي درس في كمبردج، وقد أرسى فلسفة منطقية مضادة للكانطية والهيغلية الجديدة، فواصل بذلك أعمال *فريغه* والفيلسوف الإيطالي ج.*بيانو* (1858- 1932) وهكذا طور لغة رمزية صارمة تخلو من التباسات اللغة العادية، واشتغل أيضا على النظرية النسبية *لأنشتاين*، ونتيجة مواقفه الأخلاقية والسياسية خسر منصبه في جامعة كمبردج 1916 وسجن سنة 1918 مدة ستة أشهر لمناهضته للخدمة العسكرية وهو ديمقراطي ليبرالي قريب من أوساط الاشتراكيين، وقف ضد المحرمات الجنسية، وساند المعاشرة دون عقد رسمي بين الرجل والمرأة، ناضل من أجل السلام في العالم وعارض وجود الأسلحة النووية، *فيليب بلانشيه*، التداولية من *أوستين* إلى *غوفمان*، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، ط1، 2007، ص 31-32.

[29] مجلة مدارات فلسفية، العدد 2.

[30] *فريغه* (1848- 1925) أستاذ الرياضيات في فينا، ويعتبر مؤسس المنطق الرياضي الحديث والفلسفة الرياضية وفلسفة اللغة، أهم أعماله " كتاب في تصور لغة صورية مبنية رياضيا للفكر الخالص 1879 "، أسس الحساب 1884، القوانين الأساسية للحساب جزءان1893-1903، حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ص 227.

فأولا ما نقصد بعلاقة التساوي هذه؟ ثم إن العلاقة، هل تكون بين الأشياء أم بين الحدود أم بين علامات ورموز دالة على الأشياء العينية"[31] على الرغم أن ما يبحث عنه *فيتغنشتاين* هو العلاقة بين ما هو حد اللغة، وحدود العالم أو هو: " رسم حد الفكر أو بالأحرى رسم حد لا للفكر وإنما لتعبير الأفكار وذلك لأنه كي يتسنى لنا رسم حد للفكر ينبغي أن يكون في مقدورنا التفكير من جهتي هذا الحد معا (إذ ينبغي أن نكون قادرين على التفكير فيما يمكن التفكير فيه وهكذا فإن الحد لن يرسم إلا في اللغة وما يقيم من الجهة الأخرى عن الحد هو فقط لا معنى"[32].

لذلك فإن اللغة معنميا تحتمل ما يمكن:

- أن نتكلم عنه.
- وما يمكن الإشارة إليه.

وهو ما نرجع فيه إلى دلالة تستوعب المعنى الخارجي، وما لا يمكن تحديده إلا بفعل الإشارة لأن ملخص القضية هاهنا هي رسم للعالم الخارجي: " عن القضية رسم للوجود الخارجي، وهي نموذج للوجود الخارجي على النحو الذي تعتمدان عليه"[33].

ولعل هذه الدقيقة أشار إليها الغزالي في قوله أن الموجودات ثلاثة: فهناك موجودات بالأعيان لها صور بالأذهان ،وهي منطوقات على اللسان ،وعلى هذا التأسيس نجده يتناول

---

[31] عبد القادر قنيني، المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، إفريقيا الشرق المغرب، 2000، ص107.

[32] مجلة مدارات فلسفية، العدد2.

[33] الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة، ص104.

القضايا الميتافيزيقية باعتبارها قواعد مخلة بقواعد التركيب المنطقي للغة. ولسنا نبالغ إن سلمنا بأن نقده للميتافيزيقا قد تم عنده من هذه الزاوية. فحين نقر بهذه الملاحظة سيكون بوسعنا أن نفهم آنذاك بأن طرح *فيتغنشتاين*[34] للقضايا باعتبارها عديمة للمعنى لا يقاس بافتقادها فعلا للمعنى كما يتبادر للذهن للوهلة الأولى وإنما يقاس بعدم احترامها لمنطق اللغة أي بخرقها لحدود اللغة وإنجازها لعبارات ذات معنى لكنها لا تدل على أي شيء"[35].

نظرية أفعال الكلام:

تعتبر هذه النظرية ذات تأثير مهم في كل المسار الفلسفي اللاحق حيث أسست لتلاحق مهم سمي بالتداولية[36].

وهي العلم الذي يعنى في رأي *موريس*: " بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها"[37] لذلك لم يكن *جون أوستين*[38] يفكر في هذا التشقيق: "عندما ألقى الفيلسوف جون أوستين محاضرات

---

[34] ف*يتغنشتاين* (1889-1951) فيلسوف من أصل نمساوي درس الهندسة قبل الذهاب إلى كمبردج في 1912-1913، ليعمل مع *راسل*، وبعد أن جند في الجيش النمساوي في الحرب الأولى نبذ الفلسفة عشر سنوات قبل إلى كمبردج في 1929 زميلا ثم أستاذا للفلسفة بين 1939-1947، أشهر مؤلفاته "رسالة منطقية فلسفية" 1918-1921، وهي الوحيدة التي نشرها في حياته، وبعد وفاته صدر له "فحوص فلسفية" 1945-1949، "ملاحظات حول تأسي الرياضيات" 1937-1944، وغيرها من الدراسات؛ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ص422.

[35] مجلة مدارات فلسفية، العدد2.

[36] ويرجع أول استخدام لها مع العالم الأمريكي *بيرس* المولود عام 1901 ويقصد بالتداولية كل ما يتعلق بمظاهر الاستعمال وفي العالم العربي يعد طه عبد الرحمان أول من استخدم مصطلح التداولية وقد تبناه أحمد المتوكل فيما بعد وتعني في خلاصتها الجريان والدوران والاستعمال. action يعني العمل pragma التي اشتقت من الأصل اليوناني – التداولية: pragmatique.

[37] *آن روبل، جاك موشلار*، التداولية اليوم؛ علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطلية للطباعة والنشر بيروت، ص29.

وليام جيمس 1955 لم يكن يفكر في تأسيس اختصاص فرعي للسانيات فلقد كان هدفه تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو فلسفة اللغة"[39].

انطلق أوستين من فرضية دقيقة مفادها: "أن الكثير من الجمل التي ليست استفهامية أو تعجبية أو أمرية لا تصف مع ذلك أي شيء ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب"[40] ومن ثمة عاين الحساسية المنهجية لهذه المسألة حين يقول: "إن ما يجب أن أقوله هنا ليس صعب الفهم ولا محل نزاع والاستحقاق الوحيد الذي أدعيه هو أن تكون هذه الاعتبارات صادقة على الأقل في جزء منها"[41]. تلك التي تنجر عن الممايزة بين الجمل الإنشائية والجمل الوصفية: وقد قادته هذه الملاحظة إلى تمييز جديد لا يزال مقبولا إلى يومنا هذا فهو يقر بأن كل جملة تامة مستعملة تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل ويميز بين ثلاثة أنواع من الأعمال اللغوية:

«–العمل الأول هو العمل القولي وهو العمل الذي يتحقق ما إن نتلفظ بشيء ما. – أما العمل المتضمن في القول وهو العمل الذي يتحقق بقولنا شيئا ما. – أما الثالث فهو عمل التأثير بالقول وهو العمل الذي يتحقق نتيجة قولنا شيئا ما"[42] ومحور النقاش الذي قدمه

---

[38] *أوستين* (1911–1960) فيلسوف بريطاني قضى حياته العلمية كلها، باستثناء عمله بالمخابرات أثناء الحرب في أكسفورد، أهم أعماله "أوراق فلسفية" 1961، "كيف تصنع الأشياء بالكلمات" 1962.

[39] *آن روبل، جاك موشلار*، التداولية اليوم؛ علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطلية للطباعة والنشر بيروت، ص29.

[40] المرجع نفسه، ص30.

[41] *جون أوستين*، نظرية أفعال الكلام العامة، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق 2008، ص12.

[42] *آن روبول، جاك موشلر*، التداولية اليوم، ص33.

أوستين جاء ليخلِّص اللغة من: " التراكيب الجوفاء من قبيل قولنا البحر الشاسع والثلج أبيض"[43] وينطلق أوستين في تجسيده لفكرته الأساسية في مشروعه أن: " القول يعني الفعل quand dire c'est faire بالاهتمام بالأفعال الإنجازية أو الإنشائية مثل أقسم. عمد baptiser أفعال تمثل الصيغة الإفرادية لتحقيق ما يقوله المخاطب لإقامة حقيقة جديدة انطلاقا من تلفظها"[44].

هذا يدلل على شيء مهم، أن تراث *فيتغنشتاين* استفادت منه مدرسة أكسفورد ممثلة في *أوستين* وكذلك أفكار تلميذه *سورل*. ويستخلص الزواوي بغورة أن نظرية أفعال الكلام: "تجسد موقفا مضادا للاتجاه الوضعي المنطقي الذي ركز على التحليل المنطقي للعبارات مجردة من سياقها اللغوي والتاريخي في حين أن الأقوال اللغوية تعكس نمطا ونشاطا اجتماعيا أكثر منها أقوالا تتصف بالصدق والكذب التي ألفها الفلاسفة"[45] والملاحظ هنا أن الوريث الشرعي لأفكار *أوستين* هو تلميذه الأمريكي الفيلسوف *جون سورل* حيث طور نظرية أستاذه في بعدين أساسيين هما: المقاصد والمواضعات[46].

فنظرية الأعمال اللغوية: " ترسخ اللغة والدلالة في التناول الذي يعنى بقول المتكلم والذي يعتبر بمثابة عمل حقيقي يضاهي الحدث المادي المنجز بواسطة اليد على سبيل

---

[43] ذهبية حمود الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو2005، ص125.

[44] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[45] الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة، ص107.

[46] *آن روبول وجاك موشلر*، التداولية اليوم، ص33.

المثال وهذه النظرية تقطع من جهة أولى مع الرؤية القديمة التي تعتبرها أداة لوصف الواقع كما تقطع من جهة أخرى مع اللسانيات الأولى السوسيرية والبنيوية حيث لا تؤخذ بعين الاعتبار سوى قواعد اللغة الداخلية منفصلة عن الكلام الذي لا يعتبر سوى تمفصل"[47]وعليه فإن *سيرل* لا يهتم إلا بالأعمال المتضمنة في القول ولم يهتم أصلا بالأفعال حيث يتمثل إسهامه الرئيسي: " التمييز داخل الجملة بين ما يتصل بالعمل المتضمن في القول في حد ذاته وهو ما يسميه واسم القوة المتضمنة في القول وما يتصل بمضمون العمل ما يسميه واسم المحتوى القضوي"[48].

وتتكون نظرية *سيرل* من "أ-الفعل التعبيري وهو جملة الأفعال الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية وفي هذا يقول *سيرل*: " إنني أسمي فعل(قول شيئا ما) بالمعنى العادي التام، أداء للفعل التعبيري، وأسمي دراسة المنطوقات حتى هذه النقطة، ومن هذه الجوانب، باسم دراسة التعبيرات أوالوحدات التامة للكلام. ب-الفعل الغرضي. جـــ-الفعل التأثيري"[49] ويعتبر دراسة اللغة جزءا من نظرية الحدث وترتبط فكرته في المحصلة عن ما يسميه بالأحداث الإنجازية، ومن ضمن الشروط الواجب توافرها هنا أربعة أنواع من القواعد:

- قاعدة المحتوى الإخباري مضمون القضية.

---

[47] *فيليب بلانشيه*، التداولية من أوستين إلى *غوفمان*، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار سوريا، الطبعة الأولى 2007، ص55.

[48] *آن روبولوجاك موشلر*، المرجع السابق، ص33.

[49] الزواوي بغورة، المرجع السابق، ص108.

- قاعدة التحضير؛ التقديم.
- قاعدة الأمانة؛ الإخلاص.
- قاعدة الأساسية؛ الجوهرية.

ولقد استثمر *بول غرايس*هذه المعطيات ووظفها في مجال التخاطب، حيث هيمن على أطروحته البحث في كيفية اختلاف المعنى في التخاطب في كلام الإنسان العادي، حيث ميّز بين أمرين: ما يعني وما يقال.

وهنا اقترح *بول غرايس*مبدأ سماه مبدأ التعاون، يقول: "يفترض *غرايس* أن المتخاطبين المساهمين في محادثة مشتركة يحترمون مبدأ التعاون. فالمشاركون يتوقعون أن يساهم كل واحد منهم في المحادثة بكيفية عقلانية لتسيير تأويل أقواله"[50]. ويقوم هذا المبدأ عنده على أربعة قواعد هي: قاعدة الكم، قاعدة العلاقة المناسبة، قاعدة الكيف، مفهوم الاستلزام الخطابي[51]. لذلك حاول البعض تجميع أهم المفاهيم التي قامت عليها التداولية نتيجة تقاطعها مع كل هذا الإرث التقليدي المذكور آنفا من أهمها ذكرا:

- المتضمنات في القول.
- الاستلزام الحواري أو المحادثي.
- نظرية الملاءمة.

---

[50] *آن روبول، جاك موشلار*، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص55.

[51] المرجع نفسه، ص56.

- الفعل الكلامي[52].

ومن خلال تحريك باب التخاطب، نشأ مبحث جديد هو مبحث الحجاج حيث يرى *جاك موشلر* أن واجب الحرص على اختلاط هذا المبحث مع الأنماط الاستدلالية الأخرى الحجة والاستنتاج يقول: "ولكي نحصر مفهوم الحجاج نوعا ما فإنه لا مناص من مقابلته مع الحجة والاستنتاج. فخطاب الحجاج ليس خطابا مرماه التطرق للكلام من الأدلة، وليس خطابا يهتم بالمبادئ المنطقية كعملية الاستنتاج. أنا أحاجج لا يعني أن أبرهن على إثبات ما... أنا أحاجج يعني أن أعطي الأسباب والحقائق لهذه النتيجة أو تلك، الحجاج علاقة بين حجج ونتائج"[53] ويرى *موشلر* أن الحجاج يرتكز على علاقات من طبيعة مغايرة تماما، لقد استلهم *موشلر* نظريته في التحليل التداولي بناء على استثمار نظرية أفعال الكلام والمنطق الحجاجي ثم ينصرف في كتابه الآنف ليجمع بين المحادثة والحجاج.

ونكون هنا قد وقفنا ذكرا لا تفصيلا على بعض النظريات التي انسلت من معين الفلسفة التحليلية والتي قادت التفكير الفلسفي إلى حلحلة ونقاش عديد القضايا المتعلقة أساسا بفلسفة اللغة.

---

[52] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب؛ دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص30-40.

[53] *J.-moschler*: argumentation et conversation; éléments pour une analyse pragmatique du discours. Edition *hatier credif,* Paris, 1985, p46.

الفصل الثاني :

التحليل السردي للقصة

-التحليل الوظائفي

-التحليل البنيوي

-التحليل السيميائي

-التحليل التداولي

السردية و السرديات ؛ نحو تنويع تطبيقي.

فاتحة القول :

إن الوقوف على حدٍّ للسَّرد غاية تجعل المطلوب بالمُحال الذي تشق له الرِّقاب ، فالسرد شقيق الطبيعة الأول ، بل عمق الإنسان ،تلك المناجاة الداخلية التي جعلته مُتشقِّقا منها هو وصوته ؛ حوارية لا متناهية في رحالة الذات التي تجعله أنا و الآخر في آن واحد• ،تلك المخلوقات التي تُعبِّر عن وجه الإنسان في عوالمه الحكائية العميقة ، مما يجعل أصل الإنسان كائنا حواريا تتعاظم داخله البنيات الحكائية ، ليخرج الآخر كائنا مغايرا، وتنشأ العلاقات بين الكائن و الأغيار، وبين الكائن والطبيعة ، تلك التجاورية حدَّدت التراسل الحكائي في الكون ليكون السرد محددا دقيقا لمتخلف الأشكال و البنيات التعاقدية بين الإنسان وغيره ،ولعل هذا ما عبر عنه رولان بارت في قوله " وفضلا عن ذلك فإن السرد بأشكاله اللانهائية تقريبا ،حاضر في كل الأزمنة، و في كل الأمكنة في كل المجتمعات ، فهو يبدأ مع تاريخ البشرية ذاته ،ولا يوجد أي شعب دون سرد فلكل الطبقات ولكل الجماعات البشرية سرودها وهذه السرود تكون في غالب الأحيان مستساغة بشكل جماعي من قبل أناس ذوي ثقافات مختلفة ..."[54] وعليه فقد وجد السرد مع اللحظة الأولى التي وجد فيها الإنسان، والسرديات بأشكالها هي التي جعلت العالم يرسم حدوده و

• – إذا كان لزاما أن نعيد مفهمة الإنسان من كونه كائنا عاقلا أو ناطقا وجب القول أنه كائن حواري بالابتداء.

[54] –رولان بارت ،التحليل البنيوي للسرد ،ترجمة ؛مجموعة باحثين . كتاب طرائق التحليل السردي .منشورات اتحاد كتاب المغرب .الطبعة الاولى الرباط 1992.ص: 9.

يتفاعل مع تشقيقاته المختلفة ،السرود الكبري هي وحدها المتسبِّبة في بعج النصوص الكبيرة باعتبارها فاعلا بشريا يضمن الديمومة و الاستمرار .و ركز الأدوار الحضارية و الاجتماعية التي رسمت معالم الحضارات و الشعوب و ليس هناك أمة خلت من السرد أو استنكفت عنه فهو القوة الخفية التي تحرك العالم• .بل هو لاصق بها تلعق بمجالسها و قصصها ومروياتها الشفوية المتوارثة كابرا عن كابر .

تأسيسا عليه؛ كان لزاما على الباحثين تحليل تلك المرويات لفهم البني الأولية للإنسان، ومن ثمة فهم الحضارة في تجلياتها البنيوية المختلفة ،فالوقوف على تلك المحكيات و المرويات يُمكِّن الباحث من فهم الأنساق الكلية، والواجهة الخلفية التي تستقر خلف الممكنات الخصوصية لكل حضارة على نحو ما فعل كلود ليفي شتراوس (1908)في دراساته المتنوعة[55] .بل ويمكننا القيام تفنيد تلك المرويات التي تشكلت أوهاما

• – ليس أدل على ذلك من السرديات الاستعمارية التي تستوطن الأراضي بحجة أو بأخرى ، وما النصوص المؤسسة للأصوليات الإسلامية أو اليهودية أو النصرانية إلى دليل على حاكمية القصة في بناء الايديولوجيا وهذا ما ذهب إليه روجي غارودي في كتبه المختلفة توضح هذه الفكرة

ينظر:– روجي غارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية .

[55] –تنطلق أنثروبولوجيا شتراوس من محاولة فهم الأنساق الكلية أو القاعدية للثقافة حيث درس أنظمة القرابة و الأساطير وكذلك المجتمعات البدائية /الطوطمية .وتعتبر كلا من الأسطورة و الموسيقي والفن تعتبر بالنسبة له لغات رمزية ودراسته في العموم ذات أصلين هي ؛

–هناك نزوع من جانب الطبيعة اتجاه يعني من جانب الموضوع في اتجاه العلامة أو اللغة .

–حركة ثانية تسمح باكتشاف و إدراك الخصائص موضوع التي هي في العادة خفية و مستترة .

والملاحظ أن شتراوس عمل على اكتشاف السمات النوعية المميزة للفكر المتوحش وهو فكر يمتاز بالثبات /الطابع اللازمني و تقوم فلسفته على فكرة الثنائيات التي ركزها دي سوسير مثل : طبيعة /ثقافة،شعور/لاشعور،سحر/علم ، بنية /ممارسة .

ينظر كلود ليفي شتراوس ،الإناسة البنيانية، ترجمة حسن قبيسي ,المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء/ بيروت .الطبعة الأولى 1995.

في العقل التاريخي و اتخذها الإنسان ذريعة ليبرر رؤيته للعالم ،من خلال جملة من الأوضاع التاريخية حين تختلط الرواية أو السرد بالسيطرة؛ تتشكل تلك الأخيرة وتصبح أصوليات يحتكم إليها في فصل النزاع أو إبقاءه كما قرر ذلك روجيه غارودي في كتاباته عن الأصوليات الأسطورية و المرويات الكبيرة في الثقافات اليهودية و الإسلام وحتى بالنسبة للغرب المعاصر .

لكن تحليل تلك المرويات نشأ في البداية كحاجة معرفية للتخلص من الدراسات التاريخية التي اتخمت البحث العلمي و جعلته يتقدم للأمام، فكان لزاما على الدرس الجديد أن يقصر مجال بحثه على تحليل النصوص ولاشيء غير النصوص ، فالنص هو الذي يصنع العالم ، تلك الضرورة المعرفية أعادت الأمور إلى نصابها ، من مركزية دقيقة أن لا شيء خارج النص، و الإنسان في جوهره كائن نصوصي .ومنذ الثورة التي أعلنها الشكلانيون الروس و دروس اللسانيات العامة التي جمعها طلبة دي سوسير سلكت الدراسات السردية الحديثة منحا أكثر تطورا ولعل هذا ما عرضه لنا "ولاس مارتن" في كتابه المهم " نظريات السرد الحديثة " التي حاول أن يخرج فيه تأثيرات الشكلانيين الروس في النقد السردي الأنقلوسكسوني فأسهب كثيرا في شرح تلك الموجهات الثقافية وفي توجيهها للسجالات النقدية بين النقاد حول فن الرواية .

و أسهب كثيرا في عرض النظريات في محيطها التداولي لزمنية 1945إلى 1960حيث كان نقاشه خصبا وفاعلا يأتي الاهتمام بالرواية ليجعل الدرس السردي في مداه من جهة

تطور الآليات التي تستقطب النص ذاته، حيث يتم الانتقال من "نظريات الرواية إلى نظريات السرد " [56]،ثم يحاول الناقد أن يعرض لأهم النظريات السردية التي ترسخت بفضل جهد عدد من جهود الدارسين أهمهم كلود بريمون وجريماس.و ليفي شتراوس وتودوروف و بارت ومن قبل هؤلاء جميعا فلاديمير بروب من الشكلانيين الروس "[57]حيث يعد البحث الذي قام به فلتاديمير بروب تأصيليا وخطوة مهمة في وضع منهجية جديدة و صارمة لتحليل القصص العجيبة في كتابه المتميز مورفولوجيا الحكاية 1928 ،و قام بروب بدراسة الحكايات العجيبة الروسية وتعتمد الدراسة أساسا على النظرة الهيكلية الوصفية ، فالحكاية بنية مركبة، و عن طريق تقويضها يمكننا اكتشاف و استنباط العلاقات القائمة بين مختلف الوظائف

1-النموذج الوظائفي لبروب ؛ بداية التأسيس:

اعتمد بروب في دراسته القيمة على مفهوم الوظيفة التي تعني عنده " عمل الفاعل من جهة مساره في الحكاية .وعليه فهناك ملاحظتان يقدمهما لنا فلاديمير بروب :

_ إن العناصر الثابتة الدائمة في القصة هي وظائف الشخصيات أيا كانت هذه الشخصيات و أيا كانت الطريقة التي تؤدي بها هذه الوظائف فالوظائف هي الأجزاء المكونة الأساسية للقصة .

---

[56] – ولاس مارتن ،نظريات السرد الحديثة ،ترجمة حياة جاسم محمد,المجلس الأعلى للثقافة مصر .1998. ص: 34 .

[57] –السيد ابراهيم ،نظرية الرواية ؛دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة .دار قباء للطباعة و النشر ،القاهرة 1998.ص:16.

_ إن عدد الوظائف التي تحتوي عليه القصة العجيبة محدود "[58]

وتحديد الوظيفة يكون في ثلاثة موجهات مبدئية :

-وصفا موجزا للفعل الذي تمثله .

-تعريفا موجزا قدر المستطاع .

-العلامة الاصطلاحية التي أسندنا إليه[59] . ثم بين تلك الوظائف التي لا يزيد عددها على إحدى و ثلاثين وظيفة تبدأ بالرحيل و تنتهي بالتتويج و تنقسم هذه الوظائف بحسب الإدماج المتكرر لها إلى سبعة دوائر :

1-حقل عمل المعتدي أو الشرير.

2-حقل عمل المانح أو المزود.

3-حقل عمل المساعد

4-حقل عمل الأميرة

5-حقل عمل الطالب

6-حقل عمل البطل

[58] -فلاديمير بروب ،مورفولوجيا القصة .ترجمة :عبد الكريم حسن ،سميرة بن عمو . نشر شراع للدراسات و النشر دمشق . 1996. ص: 38.

[59]- المرجع نفسه .ص : 42.

7- حقل عمل البطل المزيف [60].

التحليل الوظائفي للقصة عند فلاديمير بروبpropp

يمثل البحث الذي قام به فلادمير بروب خطوة مهمة في وضع منهجية جديدة لتحليل النصوص القصاصية ، ينتمي بروب إلى المدرسة الشكلانية الروسية ، و قد قام بدراسة مجموعة من الحكايات الشعبية العجيبة الروسية كما تعتقد هذه الدراسة أساسا النظرة الهيكلية الوصفية فالحكاية هيكل بنية مركبة ،معقدة يمكن تفكيكها و استنباط العلاقات التي تربط بين مختلف وظائفها من مسار قصصي معين .

تمكن " بروب "بفضل عدد من الحكايات (ما يناهزالمئة) من استنتاج ما سماه بالمثل الوظائفي وهو البنية الشكلية الواحدة التي تولد هذا العدد غير الحدود من الحكايات ذات التراكيب والأشكال المختلفة لذلك يفهم "بروب" الوظيفة على أنها :

" عمل الفاعل معرفا من حيث معناه في سير الحكاية "

أي أن الحدث يعتبر وظيفة مادام رهين سلسلة من الأحداث السابقة التي تبرره من الأحداث اللاحقة التي تنتج عنه .

تبدأ الحكاية الشعبية العجيبة في العادة بعرض الوضع الأصل فيقع تعداد أفراد العائلة أو تقديم شخصية ستتقمص دور البطل بذكر اسمها أو بوصف حالها .

1/ وظيفة الرحيل: éloignement

يغادر أحد أفراد العائلة مسكنه ،أشكال الرحيل متعددة مثل :

[60] المرجع نفسه . ص: 98/97.

أ- يمكن أن يكون المبتعد فردا يذهب للعمل أو إلى الحج و الذهاب لغاية معينة : التجارة ، الحرب ....

ب- يمثل موت الوالدين ما يمكن أن نسميه موتا حتميا .

ج – يكون المبتعد أو المبتعدون في بعض الأحيان فردا أو أفرادا من الجيل (يذهبون للقيام بزيارة أو نزهة).

2interdiction/تسبق غالبا وظيفة الرحيل وظيفة منع

3/ يخرق المنع : وظيفة الخرق .

4/يحاول المعتدي الحصول على إرشادات (وظيفة الاستخبار interrogations)

5/يحصل المعتدي على إرشادات حول ضحيته (وظيفة إطلاع Information)

6/يحاول المعتدي خداع ضحيته للتمكن منها أو من أملاكها (وظيفة خداع Tromperie)

7/تخدع الضحية فتعين عدوها رغما عنها(وظيفة تواطئ Complicité involution)

8/يضر المعتدي بأحد أفراد العائلة أو يلحق به الأذى (وظيفة إساءة Méfai)

9/يفشى خبر الإساءة و يتجه إلى البطل بطلب أو بأمر و يوفد أو يسنح له بالذهاب mandement(وظيفة وساطة أو تفويض .

10/يقبل البطل الفاعل القيام بالبحث أو يعزم عليه Début de l action contraire (وظيفة بداية الفعل المضاد)

11/ يغادر البطل مسكنه (وظيفة إنطلاق Départ)

12/ يتعرض البطل لاختبار يرد في شكل مجموعة من الأسئلة أو هجوم يعده لتقبل أداة سحرية أو وسيلة أو معرفة تكسبه الكفاءة التي يقتضيها الفعل أو الانجاز أو وظيفة للمانح .

13/ يرد البطل على مبادرة المانح (وظيفة رد فعل البطل) ويعتبر أي رد للبطل سواء كان

Réaction du hérosايجابيا أو سلبيا .

14/ وضع الأداة السحرية تحت تصرف البطل (وظيفة تسلم الأداة السحرية)

15/ينتقل البطل أو يقاد قرب المكان الذي توجد فيه ظالته ،هذه الوظيفة تشكل رحلة بين مملكتين يقتفي فيها البطل أثر دليل .

16Combat (يخوض البطل صراعا ضد المعتدي (وظيفة صراع

17marque)/ يحمل البطل علامة(وظيفة علامة.

18victoire)/ينتصر البطل على المعتدي (وظيفة انتصار.

19/يقوم البطل إساءة البداية (وظيفة تقويم الإساءة)

20retour)/يعود البطل(وظيفة العودة أو الرجوع

21poursuite)/تقع مطاردة البطل (وظيفة مطاردة

22secours/يقع إسعاف البطل بالنجدة

23/ يصل البطل خفية إلى مسكنه

24/يريد بطل مزيف إقرار مطالبات كاذبة (وظيفة مطالبة كاذبة)

25/يعرض على إبطال عمل صعب

26/يقع انجاز العمل

27/ يقع التعرف على البطل

28/ينزغ القناع على المعتدي أو البطل المزيف

29/يظهر البطل في شكل جديد (وظيفة تحلي)

30/ يعاقب البطل المزيف أو المعتدي (وظيفة عقاب)

31/ يتزوج البطل و يصبح ملكا .

تحليل قصة " السابعة صغرونة"

تنتمي القصة إلى الموروث الحكائي الشعبي الجزائري و تبدأ القصة بافتقار مزدوج أولا افتقار الأب (الشيخ الكبير) إلى حالة الاطمئنان الذي كبر و بلغ سنا لا يحتمل فيه تأجيل الحج إلى البت الحرام للحصول على الراحة المطلوبة لاستكمال الدين ، مما يعني " إيعاز" الى بناته السبع "بالرحيل" الذي ينجم عنه افتقار الفتيات إلى أبيهم الذي يتركهم وحدهم .

هذا الرحيل يولد قيما جديدة بدخول عناصر إضافية ، لكن قبل الرحيل (الأب الشيخ) طلب وصية من بناته "بأن لا يفتحن الباب لغريب" هذه الوصية ابتداء تثمل نوعا من المساعد الضمني لهن .

وتمثل الوصية من الجهة النصية منعا للفتيات من فتح الباب مخافة حصول الكريهة .

ترك الأب للبنات كلبه الأمين لحماية أبنائه و أوصاهم به خيرا " بأن لا يفتحوا الباب لكل من ينبح عليه الكلب .

1.رحيل

افتقارهم للحماية

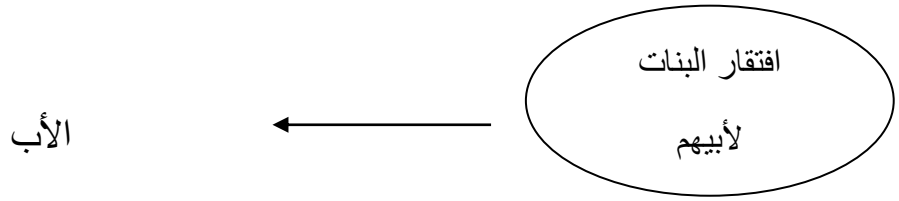

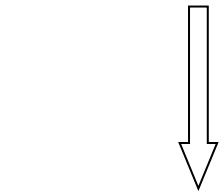

2.الوصية – أ–

نتيجة الإيعاز بالحماية

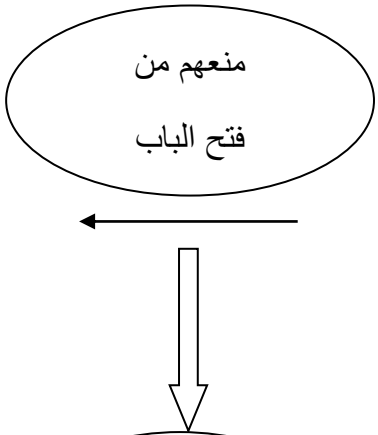

.الوصية – ب–

تعويض جزئي عن الأب

3

رحيل الأب :

و في الطريق اعترضنه "الغولة" ذاك الكائن الخرافي الذي تزخر به القصة الشعبية عامة،حيث قامت الغولة "بالاستخبار" عنه وعن بناته "مكانهن وغيرها....من المعلومات .

تعرض الأب إلى الإساءة من طرف الغولة ،لتبدأ فصول الإساءة إلى البنات السبعة ، وبينهن كانت فتاة صغيرة يقال لها "السابعة صغرونة" و هي أصغر البنات .

حيث قامت الغولة بخداع البنات من خلال تصوير نفسها في صورة إحدى القريبات للإطلاع على البنات و محاولة خداعهن ، فعلمت "السابعة صغرونة" عن طريق نباح الكلب الذي تركه الأب بأنها ليست قريبتهن وذلك من خلال الكفاءة العقلية التي اتسمت بها السابعة صغرونة

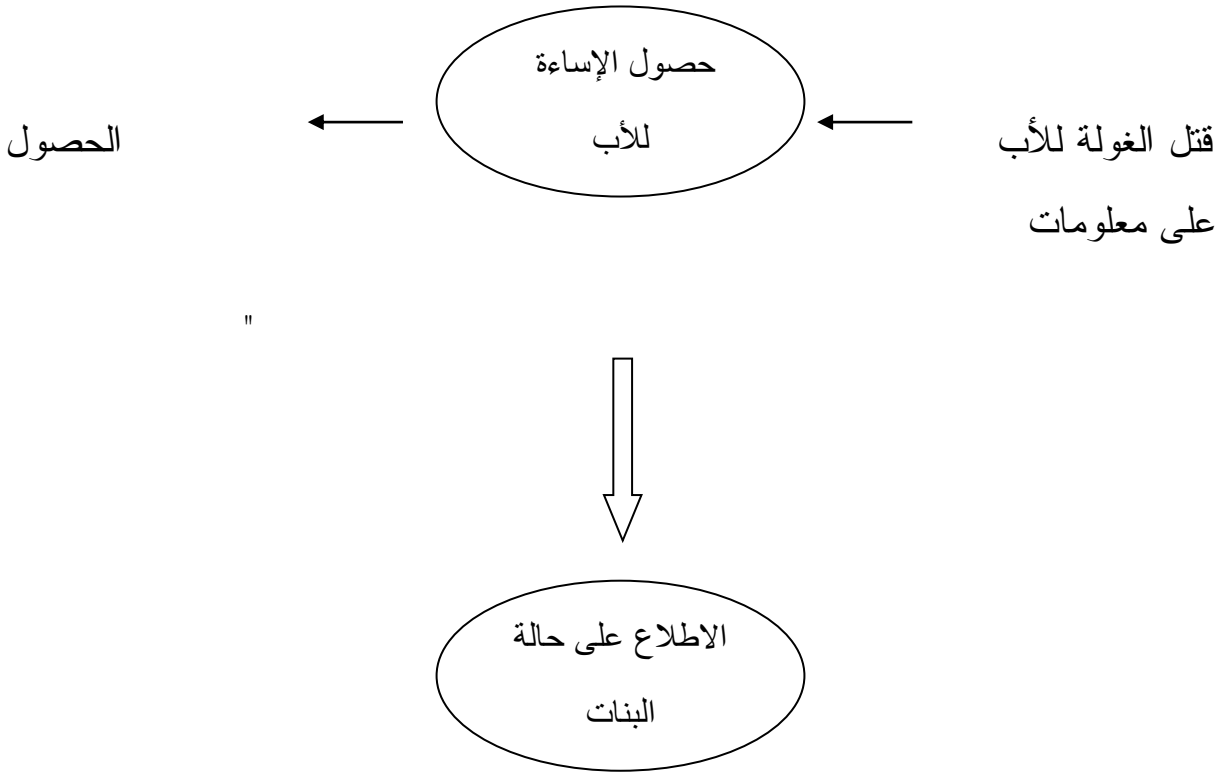

تخص بناته "وظيفة الاستخبار

تكررت الوضعية حيث كانت الغولة تأتي في شكل القريبة التي تريد أن تطلع على حال البنات ،

ووقوع البنات في فخها و لكنها طالبتهم بقتل الكلب ، الذي منع الغولة الإقراب من البيت و فهمت " السابعة صغرونة" إصرار تلك الغولة على دخول البيت أنها تنوي بهم شرا .

قتل الكلب مما يعني زوال الحاجز بين الفتيات و الغولة

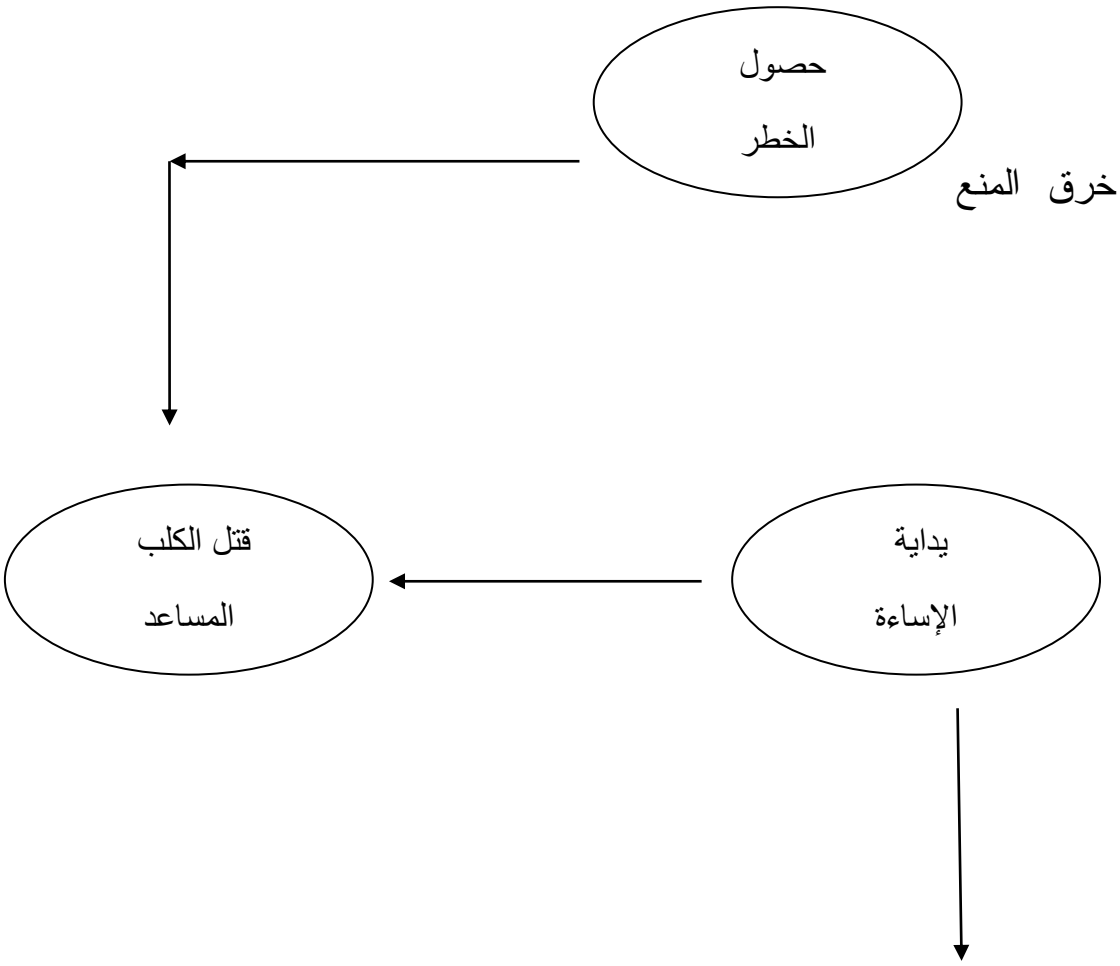

هروب السابعة

صغرونة

بداية الفعل المضاد ~~La de but de l action contraire~~

علمت السابعة صغرونة أن أخواتها البنات قد قتلن الكلب ففرزعت و هربت لأن الغولة أصبحت في البيت بدأت بأكل أخواتها.....وأخذت في الركض.

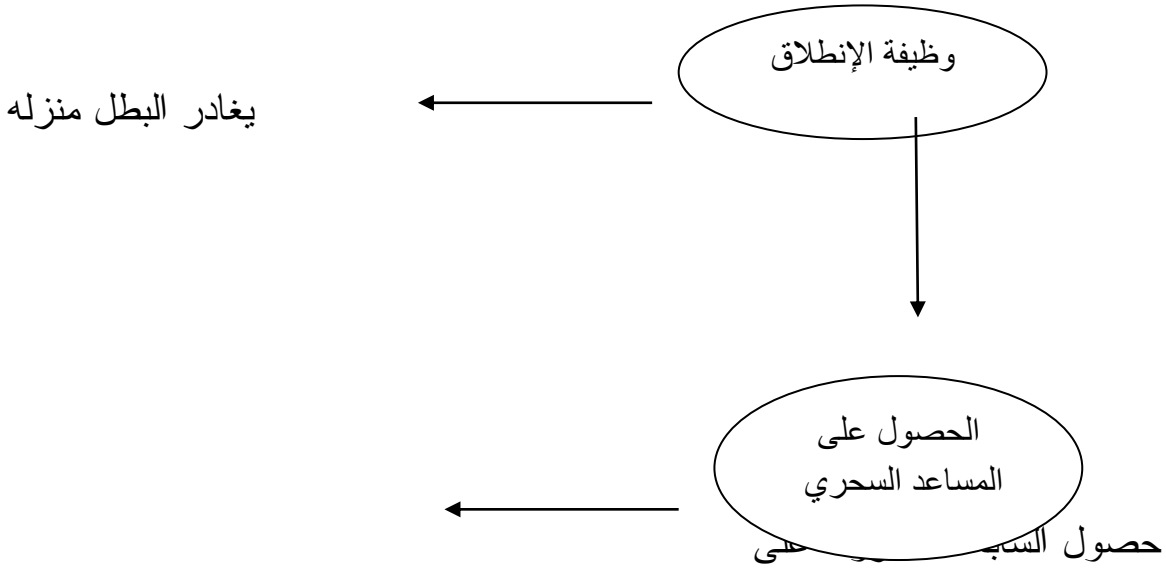

المساعد الذي يخبره اعن حال أخواتها العشر

.

كانت الفتاة الصغيرة تجري و تقول للقمر "ياقمر ياعلي أين أصبحت الغولة " فيجيبها القمر أنها أكلت الأولى ثم الثانية ثم الثالثة ..... وهكذا كان سؤال السابعة صغرونة و جواب القمر ، إلى أن أجبها القمر أنها و راءها تبحث عنها .

تخوض السابعة صغرونة صراعا مريرا مع الغولة إلى أن وصلت إلى نهر عظيم فقالت له السابعة صغرونة :

"ياواد الفضة و الذهب آمرك أن تحميني "

حملها الواد و جاوزبها الضفة الأخرى ، وجاءت الغولة فقتلن عن بعد أيتها الصغيرة ما قلت له؟ فقالت كلاما بذيئا فقالت الغولة ذلك الكلام فنقنلها النهر .

وظيفة الصراع

صراع الس ← الغولة

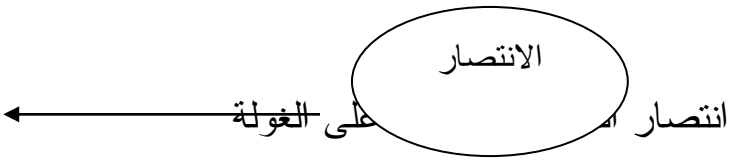

باجتيازها للنهر

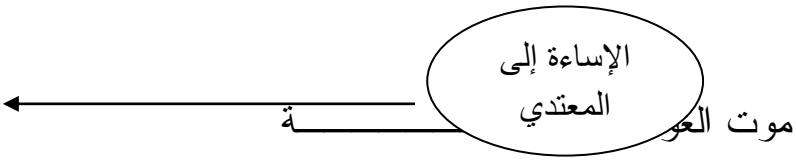

تحقق انتصار السابعة صغرونة على "الغولة" ثم نجدتها بزواجها من الأمير .

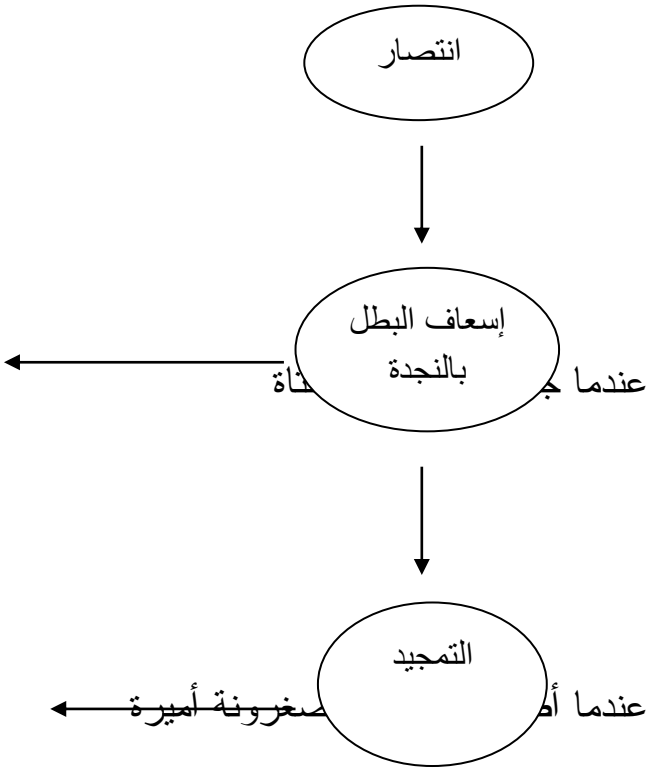

انتصار مشروع الفتاة التي قررت النجاة .

2-في المفهوم ؛ سرديات narratologieأم سرديةnarrativité :

إن هذا التأسيس البروبي عمل عمله في تخريج الأوليات إما تعليقا على النموذج أو حذفا منه ،وزيادة عليه وهناك بدأ يتراكب علم السرد الذي حدده كلا من سعد البازعي وميجان الرويلي بأنه دراسة :"القص واستنباط الأسس التي يقوم عليها وما يتعلق بذلك من نظم تحكم إنتاجه و تلقيه ويعد أحد تعريفات البنيوية الشكلانية كما تبلورت في دراسات كلود ليفي شتراوس ثم تنامي هذه في أعمال البنيزيين منهم البغاري تزيفنتان تودوروف

الذي يعد البعض أول من استعمل مصطلح ناراتولوجي علم السرد و الفرنسي الفردا جوليان غريماس و الامريكي جيوالد برنس "[61]وجاء في القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان أن تودوروف هو أول من اقترح هذا المصطلح سنة 1969و ذلك :" لتدريس علم لم يوجد بعد ألا هو وعلم القصة "[62]ثم يحاول القاموس أن يعطي تاريخا ومرجعية للأبحاث السردية عند أفلاطون ثم عند أرسطو .ثم يعطينا سلسلة من المفاهيم و الدراسات التي تتجمع كلها في وحدة سميمية واحدة وهي؛ علم السرد الذي يعرفه قائلا :"إن علم السرد ، وإن كانت الشفهية موضوعه ،إلا أنه يعطي لنفسه موضوعا ليس النصوص في ذاتها ، ولكن نموذجا معينا من العلاقات التي تتجلى فيه ،و التي تحدده الطريقة السردية :لكي يعزل فإنه يحيد سمات النص الأخرى .ولذا يجب عليه إذن أن يكون غير مبال للتمييز بين نص أدبي و نص غير أدبي "[63]

وهذا ما يؤكده الباحث يوسف وغليسي ويجعل علم السرد فرعا من الشعرية عند بعض النقاد و لكن مباحث علم السرد عرفت ممحاكة طويلة نتيجة الاتساع الفترة الزمنية بين دروس بروب 1928و إعلان تودوروف 1969 جعل الأمر يخرج عن مصبه الأساسي نتيجة البحوث الكثيرة التي تناولت المصطلح حيث ظهر مصطلح آخر narrativitéيختلف

---

[61] –ميجان الرويلي ، سعد البازعي ،دليل الناقد الأدبي؛إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا .المركز الثقافي العربي الطبعة الثانية .2000. ص: 103.

[62] –ازوالد ديكرو ،جان ماري سشايفر ،القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان .ترجمة منذر عياشي . المركز الثقافي العربي .الدار البيضاء /بيروت .الطبعة الثانية 2007. ص: 206.

[63] – المرجع السابق. ص: 210.

كثيرا عن تأسيسات تودوروف وهذا ما جعل جيرالد برنس يفرق بين المصطلح اقترحه تودوروف و لكنه لمnarratilogy فيقول :"narratologieالسردية و بين narrativitéيكتب له الذيوع و بعض دارسي السرد يفرقون بين مصطلح على أساس أن الأول يطور نماذج نحوية تعتبر أساسا لبنية السرد و narratology و بين الأخير يستخدم النماذج النحوية لدراسة أنواع معينة من السرد" وعليه تجاوز علم السرد المعضلة التفسيرية التي كانت عليها وضعية قراءة النصوص فبدلا من تفسير النصوص يسعى علم السرد إلى استخراج القوانين التي تمنح النص ما يجده المفسر من دلالات، وهو بهذا يسعي إلى تحيق شرط علميته ،أما النقطة الثانية فهي أن الدراسات السردية أسهمت في زعزعة بعض اليقينيات الأدبية القديمة "[64]

وعليه يمكن تخريج المصطلحين في نظر الباحثين ضمن هذه الخطاطة التي رسمها لنا يوسف وغليسي وهي كافية دقيقة من جهة الإحالة على تنقلات المصطلح و استخداماته الترجمية المختلفة بين دارسي السرد عموما[65] :

المصطلح	narratologie	Narrativité	المرجع

[64] –ميجان الرويلي،سعد البازعي ،دليل الناقد الأدبي ،المركز الثقافي العربي بيروت/الدار البيضاء .الطبع الثانية 2000.ص:105.

[65] –يوسف وغليسي ،إشكالية المصطلح .286.

في الخطاب السردي:35،11	السردية	السردية	محمد ناصر العجيمي
مدخل إلى نظرية القصة:232،231	القصصية	نظرية القصة	المرزوقي وجميل شاكر
معجم مصطلحات نقد الرواية :107	؟	السردية	لطيف زيتوني
ألف ليلة و ليلة:48تحليلالخطاب السردي189،في نظرية الرواية:246،130	؟	السردانية علم السرد	عبد الملك مرتاض
ترجمة عودة إلى خطاب الحكاية ،245	السردية	السرديات	محمد معتصم
المصطلحاتالأدبية الحديثة ص60،ضمن معجم	؟	علم السرد،علم القص،علم الرواية	محمد عناني

مجلة اللسان العربي ع25،85،ص 235	السردية	دراسة السرد	التهامي الراجي الهاشمي
قاموس اللسانيات ص 201	السردية	المسردية	عبد السلام المسدي
هندسة المعنى :17،52	؟	التحليل السردي،علم السرد القصصي	قاسم المقداد
البطل الملحمي و البطل الضحية ص 02	؟	علم السرديات	عبد الحميد بورايو
قاموس مصطلحات التحليل السيميائي 121	السردية	؟	رشيد بن مالك
ترجمة مدخل لجامع النص لجنيت ط2، ص98.	؟	فن السرد النظرية السردية	عبد الرحمان أيوب
ضمن طرائق تحليل السرد الأدبي ص	؟	السردلوجية	رشيد بنحدو

.85			
المتخيل السردي:104،146	؟	السردية ،علم السرد السرديات	عبد الله إبراهيم
قال الراوي13،14،15	السردية الحكائية	السرديات	سعيد يقطين
ورد في اللغة الثانية ،ص 178،182.	؟	القصيات	طريف شيخ أمين
اللغة الثانية،ص 179.	الساردية	؟	سعيد الغانمي
معجم اللسانية :137.	؟	دراسة الرواية دراسة الحكاية	بسام بركة

3-السيميائيات السردية عند غريماس :

نلحظ أن النموذج البروبي الوظائفي مارس تأثيرا واسعا في النظريات السردية المعاصرة من بينهم كلود ليفي شتراوس و يبدو أن البحث عن الأنساق المعقولية ومحاولة تخليص العلوم الغنسانية من الترسبات الميتافيزيقية جعل كلود ليفي شتراوس سيفيد كثيرا من مناهج علوم اللسان التي أرسي داعائمها دي سوسير وأثبتت بمزيد من الدقة و العلمية

و لكن نماذج ليست لغوية بالشكل الأكمل بقدر ما هي نماذج رياضية:" والواقع أن ليفي شتراوس قد عرف كيف يكشف في صميم الأنظمة الاجتماعية المتعددة للقرابة أو صلة الرحم بنيات جبرية structure alrigues تتألف من شبكات أو مجاميع من التحولات استعان في صياغتها على نحو رياضي ببعض المناهج الرياضية التي استعارها من كل من فايل d.well وجيبلو g .th.guilboud.."وعلى الرغم أن تحليل ليفي شتراوس ذاع صيته خصوصا في دراسته لأنظمة القرابة ،الأسطورة و المجتمعات البدائية إلا أنه يؤخذ عليه عدم"الصرامة المنهجية و افتقار لكفاءة النماذج و تغاير الفئات التي يعز لها ...فإن التحليل يتميز بأنه أبرز أهمية لاستكشاف العلاقات الحاصلة بين عناصر النص بشكل منظم و الأهم من ذلك يتميز بأنه قدم عجالة للشروط التركيبية العامة التي ينبغي أن تتوافر في النصوص حتى تنتمي إلى نوعtypeمحدد"هذا المخزون استفاد غريماس في تقويم عمله الذي كان أكثر رسوخا ودقة ووضوحا الذي ركز على الخطاب السردي حيث حاول أن يجعل "بنية الجملة مشاكلة لحبكة النص ،لذلك كان غريماس يسمي شأنه في ذلك شأن بروب للبحث عن نحو للرواية يقوم على عدد محدود من المبادئ تتولد الأقاصيص"والمنحى العام لسردية غريماس فهي ذات تحصيل حسابي و يبسط محمد ناصر العجيمي جزء مفصليا من نظريته في كتابه " في الخطاب السردي " حيث يعرف غريماس السردية بقوله " تقوم السردية على مجموعة من الملفوظات المتتابعة و الموظفة المستندات فيها لتشاكل _ألسنيا_جعله من التصرفات الهادفة إلى تحقيق مشروع"و لقد

استخلص غريماس من خلال نموذجه التحليلي الذي ينطلق من خطاطة تحليلية ترتكز على استجلاء العناصر التكرارية أو المعانينمية ضمن دراسة عميقة ومستفيضة في استخلاص البني السطحية و العميقة للنص حيث تستقرأ الدلالية الغريماسية إلى مستويين :

أ-مستوى سطحي يتشعب بدوره إلى مكونين

- مكون سردي و يقوم على تتبع سلسلة التغييرات الطارئة على حالة الفواعل
- مكون تصويري أو بياني ومجاله استخراج الأنظمة الصورية المبثوثة على نسيج النص ومساحته

ب- مستوي عميق و يختص بدراسة البنية العميقة استنادا إلى نظام الوحدات المعنوية الصغرى .

هذا الجهد الغريماسي هو الذي بات يعرف في الدوائر النقدية بالسيميائية السردية sémantique structurale و لقد أعطى رشيد بن مالك في قاموسه " مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص" تحديدا للسردية يقول :"يطلق مصطلح السردية على تلك الخاصية التي تخص نموذجا من الخطابات ومن خلالها نميز بين الخطابات السردية و الخطابات غير السردية "[66].

[66] -رشيد بن مالك ،قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص / دار الحكمة ،ط1 ،الجزائر 2000. ص 121.

يعرف غريماس السردية narrativivité بقوله أنها "مداهمة اللامتواصل في إنجازه الخطابي ،حينما يأتي الحديث عن حياة عن قصة وعن فرد أو عن ثقافة ،هي مداهمة المتضمنة لحالات تتخللها تحويلات هذا ما يسمح بالقول في مرحلة أولى أننا بالإمكان وصف السردية في شكل الملفوظات للفعل تصيب ملفوظات الحالة ،هذه الأخيرة التي تضمن للفواعل وجودها السيميائي في صلتها بموضوعات القيمة "[67]

نجد أن غريماس قد تأثر بجملة من الموجهات الكبرى منها :

-مدرسة جنيف ، من خلال البحوث التي قدمها فرديناند دي سوسير من خلال الإشارات المختلفة للفروق بين اللغة /الكلام/اللسان حيث ركز دي سوسير على جملة من الميزات العامة للغة في تصوره أنه :

1 -اللغة موضوع شكلي و لكونها شكلا و لاما هية فإنها ذات طبيعة متجانسة و قبلى للتحليل .

1- اللغة موضوع دلالي وهندسة أشكال محملة بالمعني

2- اللغة موضوع اجتماعي تحدد طبيعة نظام الاجتماعي [68]

و استفاد غريماس كذلك من مدرسة كوبنهاقن الوجهود التي تركها هيمسلف حيث أعطي أولوية للشكل على حساب اللسان ،و كذلك استفاد من الدراسات التي قدمتها حقلة براغ

[67] -نادية بوشفرة ،المرجع السابق , ص: 31.

[68] – جان كلود كوكي ،السيميائية مدرسة باريس ترجمة رشيد بم مالك ،دار الغرب للنشر و التوزيع . ص: 27.

ممثلة في أقطابها رومان ياكبسون واندري مارتن وتروبتزكوي حيث حصرت أبحاثها في مجال الفنولوجيا أو علم الأصوات ،ونلمح أن غريماس يتصور أن مفهوم الشعرية متضمن في المعني وهو مرادف عنده لمفهوم الأدبية le terme poétique donné comme synonyme de littéraire.[69]

وهنا نجد أن غريماس عمل على تمثل نموذجية بروب حيث استبدل مفهوم الوظيفة بمفهوم أكثر تقنية للملفوظ السردي وهنا تعرفنا على مفهوم الوحدة السردية التي من خاصيتها صيغتها الاستبدالية [70]فالوحدة لا تتحدد إلا من خلال الوحدات و الانفصالات بين الملفوظات السردية ذاتها وهذا ما يسمح لنا بدراسة الثنائيات التقعيدية في النص من خلال دراسة حركة أو مسار البطل و البطل المزيف .

وهذا ما يحدد في المنتهي البرنامج السردي من خلال تحصيل شفاف لذات الحالة و ذات الفعل وعليه فسيميائيات الفعل تنطلق من إنجاز الذات لفعلها و فاعليتها في المسار السردي من خلال جملة من الاصطلاحات الضرورية تمثل عدة الباحث التحليلية مثل :القدرة ،الكفاءة ،القدرة ،الإنجاز، الرغبة ...هذه التشاكلات تقودنا إلى استخلاص مبني النص وحركة المعنى الداخلي في شكل استخلاص منطقي يسميه غريماس "المربع السيميائي "و يقوم المربع على جملة من العلاقات المركزية هي :

---

[69] Gérard dessons ; introduction a la poétique, approche des theories de la litérature. -Edition paris. Dunod 1995.p 165

[70] –نادية بوشفرة ،مباحث في السيميائيات السردية ،دار الأمل للطباعة والنشر و التوزيع ،الجزائر , ص: 29.

-علاقة التناقض

- علاقة التضاد
- علاقة التضاد التحتي
- علاقة التضمين [71].

ولعل هذا ما جعل غريماس يهدف إلى أن تصبح السرديات :" علما كليا ما دامت تهتم بالبنيات الحكائية في إطارها الشكلي غير المحدد ،و المعبر عنها سيميائيا بالبنية السطحية قصد الكشف عن اللغة الباطنة المتفق على تسميتها بالبنية العميقة "[72].وهنا نشير إلى أن قيمة التحليل السيميائي تكمن في تتبع الوصلات و الفصلات التي تشكل قيمة التحويلات الكبرى التي تربط الفاعل بموضوع القيمة وهنا ترتسم جملة البرامج العاملية .

[71] – للتوسع أكثر ينظر :رشيد بن مالك ؛قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص. ص 23،24، 25، 26،27.و ينظر كذلك بعض كتب غريماس :

-maupassant ;la sémiotique du texte exercies pratiques .seuil.paris.1976.

-Du sens ; essais sémiotiques .seuil paris

-Sémantique structule ; recherche de methode ;paris 1966

[72] -نادية بوشفرة ،المرجع السابق . ص 29.

وعليه يمكننا القول أن سيميائيات غريماس تشكل بحق دفها قويا للدراسات السردية التي تحاول دراسة النص و ترتيب أنساقه الداخلية و الخارجية و لكن موت غريماس حال دون لمِّ شتات هذا المخزون النظري و المصطلحي[73] .

تحليل سيميائي للرواية : رواية "النسيان" عباس سليمان

تنفعل لغة "عباس سليمان" لتخلق جمالية من طابع عجائبي فهي عوالم قريبة إلى الحلم، حيث تتصرف العوالم المألوفة لصالح أخرى ممحية ومنسية لا تحضر إلا في القصص السحرية التي ترسم واقعا فوق البشر، فهي تتسم بغرائبية لافتة حيث يكون الواقع بسيطا بل وساذجا إلى درجة يلتحم فيها بالمستحيل، ما يداوله عباس سليمان في هذه الرواية الموسومة بـــ: "النسيان" واقع لا يختلف عليه إثنان لكن تفاصيل الغريب تختلط عند القارئ ملامح الواقع بالسحر، وهي ظاهرة لا تقتصر على روايته المذكورة، بل تشكل بلغة ياكبسون المهيمن على إبداع الكاتب، فقد امتدت هذه الظاهرة إلى مجموعاته القصصية: "لا موت بعد اليوم" "موتك يقتلني" "أيام العطش".

إنه مفاصل للعشق والحلم ذلك تولده لغة عباس سليمان حيث يجعل من اللغة بين الحلم ومسكن الرغبة، رغبة الحكواتي المتعرج بين مسافتين جماليتين:

- مسافة الراوي.
- مسافة القارئ.

عتبة العنوان:

[73]- لمزيد من التدقيق في الموضوع ينظر رشيد بن مالك /مقدمة في السيميائيات السردية ،دار القصبة للنشر الجزائر 2000.

يتحرك العنوان إنطلاقا من الكليشهات البصرية التي تشتغل عليها حركة القراءة عند المتلقي، فهي الحركة الأولى التي تساهم في تشكيل مستوى القراءة، وهي الإزاحة التي تعمل على تخليق الفعل المبدئي للتلقي.

فللعنوان طاقة تحتية تعمل على تشكيل المعاني المساعدة والتثقيفية التي تدفع القارئ نحو تحديد السمات الأولى للنص فهو نص يختزن جملة من النصوص التي تحتاج إلى التشريح والتفكيك، إنه نسق عائم يطرح جملة من الإبدالات المعنمية التي تحددها مسارات المعنى داخل النظام النحوي التركيبي.

يرسم العنوان من أول وهلة متصورا ذهنيا يصمم على أساس أفق التوقع الذي تنسجه ثقافةالقارئ

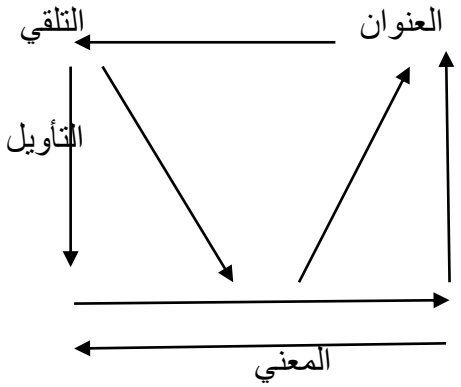

القراءة الموضوعية وفق سياقها التاريخي.

ولعل العنوان أول مقام يفيض في تخييل العوالم المرجعية التي يحيل عليها النص، وذلك على مستويين:

"مستوى يحيل على مؤلف حقيقي ضمني، يجرده المؤلف الحقيقي من نفسه يقابله قارئ ضمني يتجه إليه الخطاب"[74]

"مستوى يحيل على راو ينتج المروي يقابله مروي له يتجه إليه الراوي"[75].

وبهذا يتمنع العنوان عن كشف ممكناته الإحالية والملفوظية ما لم يتدخل التأويل كحلقة جديدة، ليكسر ويخترق التصاميم المختلفة لعوالمه، فهو شبكة مهولة ومعقدة من الإحالات، لذلك لا يمكننا فضح رموزه وؤشراته إلا من خلال دراستنا للمكون السردي الذي يقوم في الأساس: "على مجموعة من الملفوظات المتتابعة"[76]. وعليه يكون العنوان أول ملفوظ في شبكة القراءة، به تنفتح اللذة التي تكمن في درجة الصفر للتلقى، لأن تلقى النص لا يحصل دفعة واحدة مع العنوان وإنما يتدفق في مسار المشروعات السردية التي ترسم مناخا أفقيا تتابع فيه اللذة إلى منتاها.

الحاصل بين مقاصد المرسل يحمل كل عنوان رسالة تتوجه من المرسل إلى القارئ، وتشكيل المعاني ينتج عن والمقاصد التي يشكلها القارئ اتجاه العنوان فهو وسيط إجرائي بين المرسل والمتلقي وهنا يكون: "العنوان باعتباره قصدا للمرسل يؤسس أولا لعلاقة بخارجه سواء كان هذا الخارج واقعا اجتماعيا عاما أو سيكولوجيا، وثانيا لعلاقة العنوان ليس بالعمل فحسب، بل بمقاصد المرسل من عمله أيضا، وهي مقاصد تتضمن صورة افتراضية للمستقبل على ضوئها كاستجابة مفترضة يتشكل العنوان لا كلغة نو لكن كخطاب"[77].

---

[74]–عبد الله إبراهيم، التلقي وسياقات الثقافية، دار أويا للطباعة والنشر، دط، دت، ص:9.

[75]–المرجع نفسه، ص:9.

[76]محمد ناصر العجيمي، في الخطاب السردي في نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب 1993، ص:35

[77] – محمد فكري الجزار، العنونة وسيموطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998، ص:21.

وهنا يكون عنوان الرواية "النسيان" قوة إحالية على القصد الذي يحمل دلالة مؤدلجة مشبعة برؤية عميقة للعالم، وفيه تقع الدلالة على موصولاتها المعرفية وتستجيب الدلالة للمقاصد المتناثرة من خلال حركة التعريف "الـــ" والنسيان في جانبه الباثولوجي يعمل على تخريب الذاكرة ليبني خطاب النسيان على مدلولات من قبيل: التلاشي والعماء...

وهنا يصبح مشروع النسيان الإمحاء: "إن مفهوم الأثر يدين به جاك دريدا إلى الفيلسوف إمانيال لوفيناس والأثر ما يقبل الإمحاء، فالأثر هو ما يتنافى والحضور، هو ما يتناقض مع الإمتلاء"[5].

إذا فالعنوان يبنى مشروعا للغياب، لأن النسيان يعمل على تغييب الذات اتجاه الآخر ليسيطر برنامج الانزياح، عدول الدلالة عن مقاصدها لصالح الصمت حيث ينهزم الحضور "الكينونة" أما تناقض الرهيب الذي يعاينه العنوان، فهو انتصار للتلاشي وتقويضا للذاكرة، وهذه الاستراتيجية تعمل على: "تقويض مقولات الخطاب المتطابق مع ذاته ومع مقتضياته وذلك لتدفع به إلى مناطق صمته حيث يصعب لديه هناك إصدار أحكامه وفرض إجراءاته التي تخرج عن ثنائية: الخير/الشر، الخارج/الداخل، الإيجاب/السلب، الصحة/الخطأ، القبيح/الجميل، هذه القراءة تهدم بنية الخطاب العمودية/السلطوية/المراقبية. إنها تقوض أمنه المعرفي وسلطته وتفرض عليه ولوج مناطق التي يقيم عندها المتصوفة.."[78]

وبهذا الشكل يجر النسيان إلى مساحته الدلالية طاقات تكثيفية من قبيل: التلاشي، الغياب وعليه يصبح العنوان نشاط وإنتاج، وهو من قبيل التناص المعنوي الذي يحيل

[78]– عبد العزيز بن عرفة، الدال والاستدلال، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، بيروت، 1993، ص:8.

عليه: "فالتناص هو الذي يهب النص قيمته ومعناه ليس فقط لأنه يضع النص ضمن سياق، ولكن أيضا لأنه هو الذي يمكننا من طرح مجموعة من التوقعات عندما نواجه نظاما.."[79].

وانطلاقا من هذا التصور يرسم لنا العنوان داخل خطاب الحكي مسارا سرديا يبني مشروع النسيان ليصبح الفاعل الذي يحدث النقولات الحكواتية المختلفة لتغيير مسار السرد ومن تفعيل الأدوار نحو توليد المعاني الجديد،وبهذا يصبح النسيان لعبة سردية تشتغل وفقها المقاطع السردية التي ابتدأت مباشرة بوظيفة المنح حيث يكتسب الراوي فاعلية الوسيلة السحرية التي هي آفة النسيان.

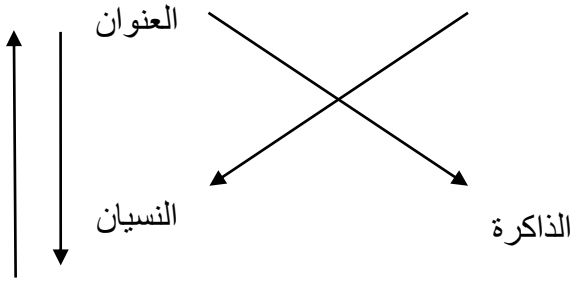

وهنا تعمل الذاكرة على إنعاش الكتابة كحلقة متميزة في بعث جسور التواصل من خلال تخييل الواقع والكتابة سلوك ارتدادي نحو التعويض من خلال الحكاية على لسان الراوي حيث ذابت الذات لصالح الحكواتي، لتكون الكتابة تعاضد الملفوظي المرصود من خلال خطية متواترة فهو يكرس: "التعدد والتفتت المتناهي في الذات، هي منهجية تذهب ضحية الغواية التي تمارسها عليها ما يمكن أن نسميه الموت والنفي والخواء"[80].

عتبة العلاقات السردية:

[79]-المرجع نفسه، ص:17.

[80]-المرجع السابق، ص:240.

لقد هيمن الحديث عن النسيان على مقاطع الرواية، التي تحركت وفق وصلة وفصلة تبدأ الوصلة من خلال أول مقطع الذي يعمل فيه الملفوظ السردي على منح الشخصية الأداة السحرية التي هي النسيان:

"ذلك ما اعتدت القيام به كلما أذهب النسيان صوابي"[81].

لتندرج تحتها جمة من الملفوظات السردية التي حركت فاعلية السرد، ليصبح النسيان هو الذات والموضوع، حيث تبين أن مسار المقاطع السردية يتحرك وفق حالات التخييل التي يفضي إليها النسيان وهنا ينتج المعنى وفق التفاعل الذي بين الذات والموضوع:

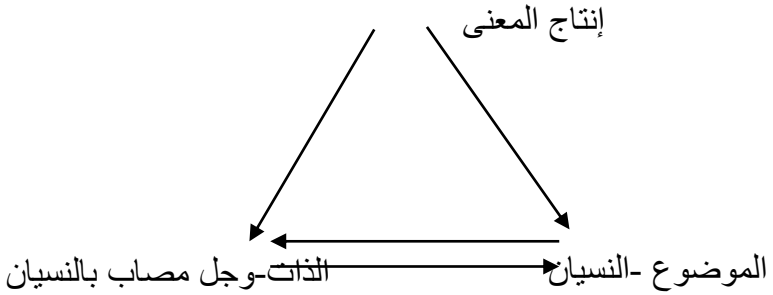

ولقد جسدت العلاقات بين الفاعل والموضوع خطأ سرديا من خلال الرغبة التي بثت شحنة دلالية تكثيفية تتابعت من أول الرواية إلى مقطع الانفصال، تشكلت هذه العلاقات

[81]– عباس سليمان، النسيان، دار الاتحاف للنشر، ص:4.

من خلال الوصلات الحكواتية التي دفعت مسار السرد نحو تخييل الظاهرة القصصية لتكسر تخيلنا وفق التتابع الذي فرضه مناخ السرد.

"تناقلت وكالات الأنباء منذ أيام قليلة خبر خروج مئات العانسات إلى الشوارع واحتشادهن أمام مقرات البلديات ومراكز الاتحاد النسائي للموضوع برفع الحظر عن الرجال ولإحداث صندوق للزواج..."[82].

هذه المتوالية الجميلة رسمت لنا موضوعين سرديين أولا: اجتماع النسوة، ثانيا: وهو الذي كسر توقعنا من خلال تضمين بنية معرفية مخالفة للقاعدة المعروفة اجتماعيا والتي تفترض أن خروج النساء إنما كان دوما بغرض تحقيق مزيد من التحرر على حساب الرجل، أي كسر الأبوية التاريخ التي كان دوما يتزعمها الرجل، ولكن خروج النسوة لم يكن عاديا بل لقد مثل استثناء حكواتيا حالما وغريبا من منطلق أن النساء طالبن طالبت بتكريس الأنثولوجيا الجماعية الموروثة من خلال تكريس سلطة الفحولة بتأكيدها على حاجيتها لهذه الفحولة.

على أن الدلالة الحقيقية للنص كما يصورها غريماس "إنما يجب استجلاؤها انطلاقا من نظرة توليدية للمعنى approche gérérative. فقد حاول غريماس ربط صريح النص ببطانة أو بالنية الدلالية الأصولية Structure élémentaire de la signification وهو مستوى النواة الدلالية Niveau sémique"[83].

والنواة الدلالية مهمة لأنها تدخل في تركيبة الوحدات السردية[84] في شكل ترسيمات من خلال معنى الملفوظ السردي.

---

[82]-الرواية، ص:62.

[83]- سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ديوان المطبوعات الجامعية دار النشر التونسية ص:122

[84]- j-courtés.introduction àla séliotique narrative et discursive collection dirigéebernard quemada, page:47.

وهذا ما ضخته لفظة نسيان على مستوى المتتاليات الجميلة فقد ساقت الاتصال والانفصال فشكلت محورا سرديا على تكرار نموذج: "ما لي أنسى سريعا"[85].

وكل هذه الملفوظات السردية التي هي الأصل ملفوظ حالة قامت على العلاقة المذكورة بين الفاعل والموضوع، لتقوم بتحويل وصلي ينتقل من: "من حالة وصلة بالموضوع إلى حالة فصله عنه"[86].

– "يروى أن أحد المقربين من المجاهد الأكبر الحبيب بورقيبة وقع بصره ذات مرة على مسودة فوق مكتب الرئيس..هل كان المجاهد الأكبر يعاني هو أيضا من آفة النسيان".

– الآن وقد تأصل في النسيان، أدركت أنه على ألازم الورقة والقلم.."[87].

أما التحويل الفصلي فإنه: "يخضع للانتقال من حالة فصله من الموضوع إلى حالة به".

– من أيام، بدأت أكتشف أن ذاكرتي هي ذاكرة الأحداث الكبرى بشكل ما"[88].

---

[85]–الرواية، 15.

[86]– رشيد بن مالك، في السيميائية السردية، دار القصبة، الجزائر، 2000، ص:73.

[87]– المرجع نفسه، ص:73.

[88]–الرواية .

وبهذا يتشكل البرنامج السردي من خلال هذه المضان المختلفة، حيث يبنى الاتجاه النسيان على غرار الفعل الضديد الذي الذاكرة.

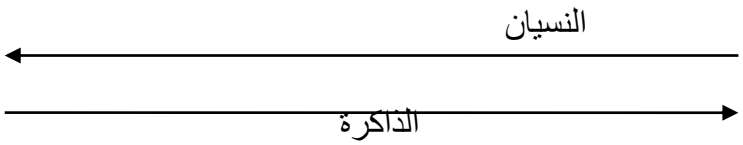

ووفقا لهذه المعاينة يتحدد المربع السيميائي، على هدى التمفصلات الدلالية من خلال مقولتي: النسيان، الذاكرة وبهما تحدد أن الفاعل ضخ خطابا متدافعا حيث راهن على التحويلة الاتصالية لدفع حركة القص إلى النهاية.

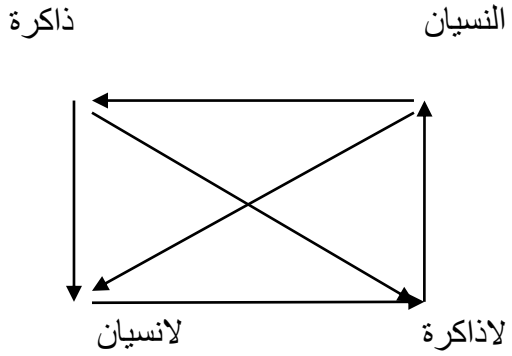

وهنا يصبح النسيان مكسبا ومخلصا من عبء الحياة: "ثمة أيضا من قول أن ليس هناك دواء كالنسيان وأن نعم الله التي لا تحصى يفوقها النسيان جميعا أهمية ونفعا"[89] ليكون النسيان صورة عن الحالة الاكزيزفرينية (حالة شرخ) التي يعيشها المثقف في المجتمع العربي، فما بين الواقع والحلم يقع النسيان رحمة للمثقف حتى ينسى الواقع الذي ينبغي أن يكون لا الواقع كما هو.

عتبة مفاصل العجيب:

إن عباس سليمان يلعب باللغة من حيث حملها على دلالات مجازية يترك فيها الحرية للقارئ، حيث يحصل بين هذا الأخير والمعاني المقروءة سجال أو علاقة تدفع القارئ إلى ملأ الفجوات والحفر المتروكة.

يجعلك عباس سليمان وجها لوجه مع الحيرة التي ترسمها منخات الحكي، حيث لا يتطرق أبدا إلى كيفية حدوث فعل النسيان هل هو مرض باثولوجي؟ أم أنه ناتج عن تخريب مطلق للذاكرة؟ من حيث أن الفعل العجيب هو: "حصول هذه الحيرة والعجز عن معرفة كيفية وقوع الفعل، العجيب هو الذي يولد ويحدد العجائبي.

ولو تتبعنا مسار العجيب في هذه الرواية سنجده يأخذ طريقا من ثلاث أبعاد:

- الحصول على الفعل العجيب.
- مغامرات الراوي مع الفعل العجيب.
- نتيجة.

في المقطع الأول تسائل الراوي لمذا أصبح ينسى الأشياء بهذه السهولة؟ ليخوض في مجموعة من القصص التي شكلها المنسي:

---

[89]. -الرواية

1- هل كنت سأنسى ما كنت دخلت لأجله لو لم يرن الهاتف"[90].....بدء الحكي

2- مكالمة ذلك القارئ أنستني ما كنت دخلت لأجله.."[91]

3- القراءة في زمن...أصبحت بدعة"[92]

4- شكري بائع الجرائد قال لي يوما إنه لا يفهم هؤلاء الذين لا يقرؤون من الجريدة غير نصفها الأيسر بحثنا عن صور اللاعبين.."[93]

5- أنا استحضر فقط أنني عدت إلى البيت لآخذ شيئا ما، ولكن رنين الهاتف أنساني ما كنت دخلت لأجله"[94].....عود على بدء، ليتأسف بداية حدث جديد.

وهكذا تمضي الرواية في شكل مقاطع أو مفاصل ما تنتهي حتى تبدأ.

إن الحيرة والتردد هي البعد الأساسي التي حكمنا على هذه الرواية أنها تحكى عجيب، أضف إلى أن الفاعل في الرواية بعض ملامح الدروشة التي جعلت الراوي ينفصل عن الزماني، يعيش تعاليا على الواقع من حيث غياب مفهوم الزمن الذي لا يختلط إلا بالحدث التعبيري البسيط.

إن أعمال عباس السردية تشكل للقارئ إغراءا من نوع خاص، فهي تدفع فيه الرغبة نحو التواصل للإلحاح الشديد الذي تمارسه اللغة على متلقيها، على الرغم من أن الرواية من الحجم المتوسط إلا أنها ذات قيمة اجتماعية رفيعة، فهي تسلك الترميز على واقع

---

[90]. -الرواية

[91]. - الرواية

[92]. - الرواية

[93]. - الرواية

[94]. - الرواية

متهافت يشكل فيه المثقف المغيب والممحي بل يشكل بلغة بيرس مشروع العماء من بل هو التناهي، منطلقا من حالة التناسي الرهيبة التي

تستوطن مناخات الثقافة، فهي حالة عامة من التغييب التي ترسم مسيرة للنسيان. على غرار مشروع المثقف الذي يندفع وراء الذاكرة.

الأثر المفتوح ؛تحليل الوضعيات الخطابية للسيد "سيغما "

يعتبر امبرطو ايكو Umberto Eco واحدا من رواد التنظير النقدي في الفكر المعاصر وهو من كبار السيميائيين الذين يمتلكون مشروعا نقديا أقل ما يقال عنه أنه متعدد الاختصاصات أو الاهتمامات ؛ السرد ، الموسيقي ، الفنون التشكيلية ، الأزياء وغيرها من الحقول المتعلقة بالمباحث السيميائية الكثيرة و يتسم مشروع ايكو بسمتين أساسيتين أنه :

- مشروع نظري يهتم بالتشقيق التنظيري لكثير من المفاهيم و المصطلحات .
- مشروع تعليمي بيداغوجي ينحو إلى التمثيل و نقد النقد من خلال التطبيقات المختلفة على النصوص .

وهما سمتين تميزان الإطار المعرفي الكلياني للباحث لما له من تنفذ دقيق في الإلمام بمختلف الروابط الابستيمية للحقول المعرفية المتنوعة ، و التي يصهرها كلها في بؤرة واحدة ؛ التنظير النقدي فلسفيا و تمثيليا .و لم يغلب عليه الطابع التجريدي فأغلب منظوراته النظرية تنحو إلى الممارسة لذلك نجده أكثر فاعلية و أركز رسوخا في قيمته الأكاديمية .

تحاول هذه الدراسة أن تستثمر هذا المجهود في اتجاه عمودي للوقوف على بعض المفاهيم و الأصول النظرية عند ايكو لإنارة القاريء العربي بعموم المشروع ، لذلك سنسلك طريق العرض و هو أقرب إلى بسط أراء الباحث حول عديد المسائل و الإشكاليات التي طرحها نظره العام .

وينقسم مجهود ايكو في اتجاهين :

- اتجاه نقدي نظري خالص .

- اتجاه إبداعي من خلال رواياته المختلفة .

و سنقصر بحثنا له على الجانب النظري النقدي دون أن نتطرق إلى رواياته لأن الدراسة اهتمامها مشروع ايكو النقدي في عمومه .

وسنعمل على عرض خطوطه العريضة انطلاقا من مؤلفاته الكبرى التي تشكل القاعدة التأسيسية للتعريف بعقل الباحث على وجه العموم ، وهو مشروع يحتكم إلى جملة من البيانات التأسيسية للمشروع السيميائي في جانبه العام ،و أهم تلك الكتب التي تبين عن فكر الباحث نذكر :

- 1962 L'ouvre ouverte ;les poétiques de james joyce وهو يعد الباكورة الأولي للنظرية النقدية عند ايكو وقد ترجم للعربية من قبل الباحث عبد الرحمان بوعلي تحت عنوان "الأثر المفتوح "و يأتي كتابه الثاني La structure Absente الصادر عام 1968يليه الكتاب المهم والذي وضع فيه امبرطو ايكو عصارة البحث السيميائي المعاصر من خلال التنظير البيداغوجي لمختلف المنظورات السيمسائية وهو كتابه 1973Le signe الذي ترجم للعربية من قبل سعيد بنكراد بعنوان " العلامة ؛ تحليل المفهوم وتاريخه "ثم كتاب L'etore in fabula الذي ترجمه للعربية أنطوان أبو زيد وكذلك كتاب . غيرها من الكتب المهمة التي سنحاول استنطاقها في هذه الدراسة حول ايكو .وكذلك كتاب :

تنفتح هذه المطارحة على عالم تتداخل فيه العلامة بالتأويل من خلال ربط العوالم الممكنة أو الاحتمالية بالمرجع من خلال كونه دليلا على الوجود في عالم التصورات أو خارجه :"فالشيء أو جملة الأشياء مما تشير إليه عبارة ما يكوّن مرجعها"[95] ،لذلك نتغنى هنا تخريج العلامة مع ما يشكل مميزاتها الفارقة

[95]- عبد القادر قنيني ، المرجع و الدلالة في الفكر اللساني الحديث ، افريقيا الشرق 2000.المغرب .ص :33.

عن ما يخالفها دلالة لا من جهة التعيين الحاف للمعنى بل كذلك من جهة تأول العلامة ضمن فضاء شكل المرجع فيها .

و عليه تتخارج العلامة تخارجا تأويليا تتفاعل و الحراك الدليلي للنظام الثقافي الذي أفرزته العلامات في منظومة التفاعل التواصل ، ذلك أن العلامة تختزن داخلها التدليلات الصغرى و الكبرى عن نظام العلاقات العلامتية .

شعرية الأثر المفتوح ؛

ويعتبر كتاب "الأثر المفتوح " L'ouvre ouverte في بدايته كما يقرر المترجم انه كان عبارة عن مقال في المداخلة التي قدمها في " المؤتمر العلمي الثامن عشر للفلسفة عام 1959و التي كانت حول مشكلة الأثر المفتوح وقد كانت هذه المداخلة بمثابة البذرة التي تشكل كتاب الأثر المفتوح "[96] ومع أن عمل ايكو يقتصر هنا تقصيه عوالم روايات جيمس جويس إلا انه وسع المفهوم الانفتاح على حقول معرفية كثيرة كالموسيقي و الفنون التشكلية و التلفزيون و الأزياء وغيرها مما يكشف عن الحراك الدينامي لمفهوم الانفتاح الذي طوره ايكو في كتابه المذكور ، وهنا نطرح تساؤلا منهجيا الأثر المفتوح باتجاه من ؟ إنه انفتاح باتجاه القارئ ليعيد بناء الجوانب اللامنظورة في النص ،ملأ شقوقه و فراغته من خلال ترتيب عوالمه .

و هنا وجب –في تصوره –ربط العقل بالفضاء الأول باعتباره آلة التمييز و الوضع و الاصطلاح ، و الثاني ؛ بوصفه الوجود المادي .و الوضع الترابطي يعكس العلاقة الجدلية حول أولية العلامة؟ لعل البحث في هذه العلاقة يفضي إلى كون العلامة ذات طبيعة خلافية جدلية لا تنتج قيمتها المعرفية في المحصلة إلا في

---

[96] امبرطو ايكو ، الأثر المفتوح ، ترجمة عبد الرحمان بوعلي ، دار الحوار للنشر والتوزيع ،دمشق الطبعة الثانية 2001ص: 17.

البعد التواصلي هذا البعد الذي أعطى قيمة على معنى وجود الإنسان بعد الدور الذي لعبته المسارات الكبرى للتفلسف الغربي ،والتي رمت بالإنسان إلى أحضان الأداتية و التي أفرغته من محتواه الدلالي.

حيث عملت هذه المسارات على إصلاح آلة الفهم العقل ابتداء بمحاولات ديكارت ، سبينوزا : ذلك أن تبصرات ديكارت حررت العقل من :"المخلفات الميثولوجية و اللاهوتية "[97].

و لم يعد الفكر نفسه موضوعا للحدس ، بل بدأ يأخذ مسارا سيميائيا دقيقا يحتكم إلى ثلاثة مبادئ للتحليل حددها لايتنز في مبدأ الهوية و مبدأ السبب الكافي و مبدأ الاتصال ، وهكذا صارت العلامة متسمة بأهم مبدأ لها هو مبدأ الإعتباطية ..."[98]

من خلال هدا الربط تتحدد العوالم الممكنة في كونها علامات تحمل معاني لا متناهية فيما يقوله امبرتو إيكو :" إنها تحاول أن تفسر العالم كأنه كتاب و تفسر الكتب كأنها عوالم "

- La sémiosis hermétique , dès le début s'est manifestée a deux niveaux interprétation du monde comme livre et interprétation des "livres comme monde »[99]
- إن العالم/العلامة بهذا التحديد ينزع إلى كونه لا يختلف كثيرا عن المسرودات ذلك أن السرد لا حصر فهو لا نهائي و بالتالي :"فهو حاضر في كل الأزمنة و في كل الأمكنة و في كل المجتمعات ، السرد بدأ مع تاريخ البشرية ذاته..."

---

[97]-أحمد يوسف ، العلامات الواصفة ، المركز الثقافي العربي ، منشورات الاختلاف ، لبنان الجزائر 2006.ص : 44.

[98]-المرجع نفسه .ص :64.

[99]-umberto eco ; les limites de l'interprétation .édition trasset 1992.page : 125.

- Le récit est présent dans tous les temps , dans tous les lieux , dans toutes les sociétés , les récit commence avec l'histoire même de l'humanité ..."[100]
- و لما يكون العالم هو النص السردي المفتوح كما يقول إيكو"الأثر المفتوح" l'ouvre ouverte ذلك أن: "مفهوم الانفتاح له علاقة بالمؤول الذي يستهلك الأثر أو النص أو الخطاب "[101]
- و التأويل ينطلق أساسا من العلامات التي تسبح فوق المسطح للنص و القارئ يعمل على ملأ الفجوات أو إنطاق المسكوت ، ذلك أن العلامة هي الفعل التأويلي للعالم ، هذا الفعل يشد الإنتباه إلى موضوع ليصبح علامة تحيل على موضوع و هكذا لا نهائية من العلامات..."[102].

فمفهوم العلامة عند بورس ينبثق من المعنى المحدد آنفا للسيميوزيس الذي يعني عنده فعل العلامة la sémiosis ou l'action du signe .

و عليه فإن فعل العلامة l'action du signe هو الجامع المحدد لصيغة ثلاثية عند فلسفة بورس للعلامة: الممثل ، الموضوع ، المؤول ب :"و هذه هي العلاقة الثلاثية الأصلية (...) و أي شيء يحدد شيئا آخر هو (مؤولة) بحيث إن المؤول يحيل إلى موضوع و هذا الموضوع يحيل بدوره إلى آخر بنفس الطريقة، أي أن المؤول أصبح هو نفسه علامة و هكذا إلى ما لا نهاية"[103]

---

[100] -roland barth ; l'aventure sémiologique , édition du seuil paris page :167.

[101] -امبرطو ايكو ، الأثر المفتوح ، ترجمة : عبد الرحمان بوعلي ، دار الحوار سوريا .ص :8.

[102] -charles.s.peirce ; écrit sur le signe , edition du seuil paris , page : 126.

[103] -أحمد يوسف ، العلامات الواصفة .ص:56.

و عليه :" فإن النص الأدبي المفتوح يمنح متلقيه نفس القدر من الحرية أو أقل منه قليلا لتتمكن من التموقع في وسط شبكة من العلاقات النصية "[104] أي أن العلاقة مؤلف/نص صارت رؤية تقليدية لا تفي حاجتنا في تفسير العلاقات الدينامية النصية ، وهي رؤية تصادر إرادة القاريء في إعادة إنتاج النص لذلك أصبحت معادلة قارئ /نص هي المعادلات التي تنفتح فيها الدلالة على أكثر الاحتمالات المعنمية و الدينامية لإعادة بناء سيناريو أمثل للنص فيلج النص مرحلة إعادة تأويل المعطيات الموسوعية له بإعادة قرائته انطلاقا من البني السوسيو ثقافية المخزونة في النص .

لذلك يقدم ايكو لكتابه " الأثر المفتوح "بمقدمة نظرية محكمة ومعقدة في آن تشرح مفهوم الأثر المفتوح .ومن ثمة شعرية الإنفتاح وهي عنده تلك التي تعطي :" أهمية لأفعال الحرية الواعية عند المؤول و أن تجعل منه المركز الفعال لشبكة لا تنتهي من العلاقات "[105]أي أن النص يكون في اتجاه التعدد اللانهائي للقراءة ، هنا ينسف ايكو المعني الحاف / الأصلي الذي بني على نظرية قصد المؤلف ففي في تصوره كل نص يختزن داخله عددا لا نهائيا من الفراغات تحتاج إلى إعادة ملأ ليدخل النص في حالة من الدينامية اللاتناهية .

فالقصود عملية يحورها القاريء لأفقه هو /أفق القراءة الذي يبين علاقة النص على عالم جديد /تحديد خارج المعني الحرفي له .واعتبار القاريء لمنظور معين في النص لتدعيم شبكة قرائية في شقها الايديولوجي التي يفترضها القاريء فهو يكشف زاوية من النص تخدم رؤيته ومصالحه يقول :"و القاريء يعرف كل جملة و كل شخصية تخفي دلالة متعددة الأشكال يتحتم اكتشافها وهو يختار حسب حالته الذهنية المفتاح الأفضل بالنسبة إليه و يستخدم الأثر بشكل يمكن أن يكون مختلفا عن الشكل المتبع أثناء قراءة سابقة "

---

[104] ـايكو ، الأثر المفتوح . ص : 9.

[105] ـــالمرجع نفسه . ص: 17 .

إلى أن يقول :" إنه نظام الأثر الفني يلتبس مع نظام المجتمع الامبراطوري و الثيوقراطي و القوانين التي تنتظم القراءة هي القوانين ذاتها للحكم الذي يقود الانسان في جميع أفعاله من خلال تسطيره الأهداف التي ينبغي أن يصل إليها وتقديم الوسائل للوصول إلى ذلك "[107]

بمعني أنه المفهوم التقليدي عن الأثر الأدبي باعتباره وحدة مادية مغلقة على معناها لم يعد لها أهمية في النقد المعاصر ، بل صار النص سرا نحاول كشفه وتعريته و البحث في شقوقه الرفيعة اللامنظورة ومن ثمة البحث في بياضاته .

وهنا نجد امبرطو ايكو قد حلل مفهوم الأثر المفتوح بناء على تقصيه لمفهوم آخر وهو الغموض لذلك نجده يطرح تساؤلا جوهريا " هل حقا يملك المؤلف قصدية رمزية وميلا نحو الغموض " [108]انطلاقا من القاعدة التي بول فاليري عندما قال :" لا يوجد معني حقيقي لذلك تناول تيندال أن الأثر الأدبي :" هو جهاز يستطيع كل شخص منا أن يستخدمه كما يحلو له إن هذا النمط من النقد يري أنه الأثر الأدبي يشكل تتابعا ممكنا من الانفتاحات و احتياطات لا ينفذ الدلالات و في نفس الاتجاه تسير الأعمال الذي تدور حول بنية الاستعارة و حول أنواع الغموض المختلفة التي يمنحها الخطاب الشعري "[109]و لعلنا نفسر كل هذا مقولة مالارميه التي ذكرها امبرطو ايكو " إن الكتاب لا يبدأ و لا ينتهي أكثر من ذلك فإنه يبدو كذلك " [110]و الأثر يتحرك نحو القارئ و ليس باتجاه المؤلف ، فالأفق الجديد هو الذي يرسم عناصر التحول في الأثر انطلاقا من تفجير البني الممركزة في النص و تأويل العناصر و العلامات الرمزية الكامنة فيه المنفتحة على العالم .

---

[106] _المرجع نفسه . ص: 19.

[107] _المرجع نفسه . ص: 20.

[108] _المرجع نفسه .ص:23.

[109] _ المرجع نفسه .ص:24.

[110] لا_ المرجع نفسه .ص:29.

ووعي القاريء هو الكفيل بإخراج كل تلك المضمرات و النظر في تلك المنظورات وعليه فالأثر المفتوح في الدرس النقدي على مستويين :

ـــــ إنتاج الأثر /المؤلف /انفتاح داخلي مشروط .

ـــــإعادة إنتاج الأثر /القراءة /سلسلة لا متناهية من القراءة ؛انفتاح كلي .

و بحسب ايكو لم يصل مفهوم الانفتاح إلى الحيز النظري المناسب إلا مع انبثاق المذهب الرمزي و أفول المذهب الرومنسي ، و لقد طور ايكو مفهوم الأثر المفتوح بناء على النقاشات الجمالية التي فتحتها جمالية التلقي أو ما يسمي علم تداول النص .

ولم يتوقف ايكو عند هذا الحد فقد فتح في كتابه بعدا جديدا عن الأثر المتحولة أو المفتوحة باتجاه نشاط تعاضدي دؤوب ، حيث انتفح أكثر و بعمق على عديد الاتجاهات السيميائية من خلال تحصيله لفهم دقيق بنظرية غريماس في تقص الدلالة و تدقيقات بيرس حول دينامية التأويل .

و لقد قدم لنا في كل ذلك فروض نظرية محكمة حيث عرض لمختلف الاتجاهات السيميائية السائدة و التطور الذي عرفته اللسانيات عموما من الاهتمام الذي كان مركزا حول الجملة إلى الاهتمام الذي تركز حول الخطاب ، لكون الأخير يهتم بالمقول او التلفظ أي الظروف التي تم فيها القول يقول :" لقد ارتسم منحيان في السيميائيات النصية ونموها المطرد و لسوف نحددها باعتبارهما نظريتين تسودان إلى الجيل الأول و الثاني ، إلا أن تحديدنا هذا لن يكون تسلسلا فالجيل الأول بحسبنا هو الذي كان متطرفا ومجادلا عنيفا ضد لسانية الجملة أما الجيل الثاني فهو جهد على العكس في أن يصهر وجهتي النظر صهرا حذقا وذلك حين راح يمد جسورا بين دراسة اللغة باعتبارها سيستاما مبنيا يتقدم التفعيلات الخطابية و بين دراسة أنواع الخطابات أو النصوص باعتبارها نتاج لغة تم

التكلم بها أوهي قيد التكلم بها " [111]لقد اهتم ايكو في كتابه القارئ في الحكاية بمقولات الجيل الثاني لأن الطرح النظري الذي يريد بناءه هو ايجاد علم التداول النصي أو جمالية التلقي .

ويحاول ايكو من خلال عدته النظرية : النص والموسوعة أن يحدد سمة لازمة بالنص من كونه معطي كسول يتطلب من القاريء تعضيدا من خلال ملأ البياضات نتيجة للخزين الدلالي الذي يحتفظ به الماقبليات ،و ذلك حسب الإطار السيناريو الذي تم استعماله أو ايراد للتعبير عن الحاجة .

و لقد احتكم في بناء تصوره هذا في بيان اشكالية التعضيد التأويلي على مقاربة بيرس السيميائية بالإضافة إلى بناء تصور للعوالم الممكنة بالمفهوم السيميائي ، يعتبر ايكو بيرس أحد منظري الجيل الثاني ،و بين لنا نموذج بيرس التأويلي وحركة التعضيد مرتبطة أساسا بأشكال التأويل الانهائي وهي سيرورة لامتناهية من العلامات يقول " عن العلامة هي الشيء ما بإزاء الفكرة التي تنتجها و تحول فيها ..." [112]فالعلامة ليست " وحدة مغلقة فالعلامة أصلا حالة ظرفية لحظة في نسق لا متناهي من الاستعمالات للفكر " و العلامات لا يكون لها لها معني إلا داخل " أكوان السيميوز في ملفوظات و إثباتات و أوامر و تساؤلات وتنتظم الملفوظات في نصوص أي ضمن خطاب " فالدينامية السيميائية هي التي ترتكز أساسا على دراسة حياة السيميوز هذا الأخير الذي يعد فعل العلامة كما يقول بيرس .

و لقد تناول ايكو مفهوم السيميائيات في كتابين مهمين هما ؛ العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ، وكتابه الثاني؛" التأويل بين السيميائيات و التفكيكية" الذي أعاد فيه مناقشة جملة

_امبرطو ايكو ، القاريء في الحكاية ؛ التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية . ترجمة انطوان أبو زيد ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء بيروت ، الطبعة الأولي 1996. ص: 15.[111]

_ المرجع السابق . ص : 31. [112]

من القضايا النقدية و الفلسفية الكبري خصوصا علائق العلامة بالتأويل من خلال جملة من المناقشات الكبري أهمها : التأويل و التاريخ ، التأويل المضاعف للنصوص ، والعلاقة التي تربط المؤلف بالقارئ على نحو ما بينا في المفاهيم الافتتاحية .

حيث إن علاقة التأويل بالتاريخ كما تصورها ايكو متربطة أساسا ضمن " إطار الفلسفة و التاريخ و السياسة يمكن ان ندرج النموذج التأويلي كما يمكن أن ندرج النموذج الثاني ، فالأول موجود في حد ذاته متناهي و الثاني قابل للاشتغال لأنه لا متناهي ...ويرد ايكو النموذج الأول إلى أصول حضارية يمتزج داخلها السياسة بالمنطق و التاريخ فالحدود هي أصل البناء ، بناء المدينة وتحديد تخوم الامبراطورية ، تعيين عاصمتها فالامبراطورية موجودة لأنه هناط حدودا ترسم هويتها و إذا حدث ان انتفت هذه الحدود سقطت الامبراطورية "[113]. ثم قام على دراسة التمظهرات المختلفة للتأويل في التاريخ الغنوصي و المسيحي و ما هي المحددات و الاستخلاصات الكبري للدرس التأويلي .

و لقد ناقش فيه إشكالية التأويل المضاعف حيث انصب فيه على علاج السجال القديم حيث كشف المحاورة التقليدية التي تبحث في نص ما عن :"ما يود الكاتب قوله و إما على ما يود النص قوله في استقلال على نوايا الكاتب .إن الطرف الثاني داخل المعادلة هو الذي يدفعنا إلى التساؤل عما إذا كان ما سيتم الكشف عنه يتطابق مع ما يقوله النص استنادا إلى وجود انسجام نصي ووجود نسق دلاللي أصلي أو يعود إلى نسق الانتظار الخاص بالقاريء " [114]

ولقد حدد ايكو ماذا يقصد بالضبط بقصدية النص و قصدية القاريء يقول :" ...فإننا لا نستطيع إعطاء تحديد تجريدي لمقولة قصدية النص ، فقصدية النص ليست معطاة بشكل

ـــــ امبرطو ايكو ، التأويل بين السيميائيات و التفكيكية ، ترجمة سعيد بنكراد . المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء / بيروت ،الطبعة الثانية 2004, ص: 24.[113]

_المرجع نفسه .ص : 77.[114]

مباشر وحتى إذا حدث و كانت كذلك فستكون شبيهة في هذا بالرسالة المسروقة فرؤيتها محكومة بإرادة الرائي وهكذا إذا كان بالإمكان الحديث عن قصدية النص ، فإن ذلك مرتبط بتخمينات القاريء إن مبادرة القاريء تعود أساسا إلى قدرته على تقديم تخمين يخص النص "لذلك فالنص بحسب تصور ايكو هو ما أمكنه إنتاج القارئ النموذجي الذي ينتج الدلالة و يكشف المعنى .و ليس القارئ النموذجي في تصوره هو الذي يأتي تخمينات تقريبية للنص و إنما القارئ النموذجي هو الذي يفترضه النص ذاته يقول :" إن النص جهاز يراد منه إنتاج قارئ نموذجي إن هذا القارئ و أكرر ذلك ليس هو ذلك الذي يقوم بتخمينات نقول عنها إن وحدها التخمينات الصحيحة فقد يكون بإمكان نص ما أن يتصور قارئا نموذجيا قادرا على الاتيان بتخمينات لا نهائية .إن القارئ المحسوس هو مجرد ممثل يقول بتخمينات تخص نوعية القارئ النموذجي الذي يفترضه النص "[115]

و لا تتحدد قصدية النص إلا من خلال العلامات التي يتركها النص تطفو فوقه فتشكل أفق انتظاره الخاص الذي يدخل مع القارئ في سيرورة لا متناهية في إنتاج الدلالة من خلال الجدل التقني ؛ النص / القارئ و لقد ولد ايكو مصطلحاته من خلال تماحكه مع جملة الطروحات التي كانت سائدة في أفقه المعرفي الخاص .

وعليه فإن ايكو حاول فض النزاع لتلك الإشكالية بين المؤلف و النص ، حيث يطرح ايكو سؤالا مهما ما يزال يحتل صدارة الأسئلة النقدية الكبيرة ؛ هل بإمكاننا بعد كل ما قلناه الاهتمام بالمؤلف الواقعي للنص ؟

يتحدث ايكو عن كون فعل القراءة فعل مركب فيقول :" إن فعل القراءة هو تفاعل مركب بين أهلية القارئ ، (معرفة الكون الذي يتحرك داخله القارئ)و بين الأهلية التي يستديمها النص كي يقرأ قراءة اقتصادية "[116]و لهذا يأخذ بوجهة نظر "ماورا فراريزي" إلي وجود

---

[115] ـ المرجع نفسه ص : 78.

[116] ـ امبرطو ايكو ، التأويل بين السيميائيات و التفكيكية .ص :86.

كيان ثالث يتوسط المؤلف الفعلي و المؤلف النموذجي (الذي لا يمكن إلا أن يكون سوى استراتيجية خصبة صريحة)يتحرك على هيئة شبح و نسميه المؤلف الاستهلالي أو الكاتب الموجود في العتبة تلك التي تفصل بين قصدية كائن بشري و بين القصدية اللسانية المندرجة ضمن استراتيجية نصية "[117].

و بالتالي فإن النص حسب ايكو يعود إلى تلك الحركة الدائرية قارئ/ نص ، نص /قارئ ومن خلالها يتم بناء موضوع التأويل من خلال تلك الحركة و هي دائرة قديمة ومعروفة تسمي الدائرة الهرمنيوطيقية . ويعمل القارئ على ملأ تلك الفجوات التي تسمي المسافات البيضاء أو كما سماها انجاردن أماكن اللاتحديد . حيث يكشف التأويل شرعيته النصية يقوم القارئ ببناء المعني هناك .

و احتل مفهوم البياض مكانه متميز في الطروحات التي قدمها ايرز وهي تشكل نقطة :"الانطلاق بالنسبة له، بل والمعطيات الناقصة التي يجب على القارئ تتمتها وملأها ليس في حقيقة الأمر إلا نقطة الوصول".[118]

وقبل ذلك علينا استيعاب نظرية انجاردن حول ما يسميه ب"مواقع اللاتحديد Unbestimmtheitsstellen من خلال عرضه للطريقة التي يقدم بها العمل الفني.

" فإنه يرجع إلى إطار مرجعي ظاهرتي من أجل تعريف الموضوعات وطبقا لهذا فهناك موضوعات واقعية محددة بشكل عام وأخرى مثالية مستقلة. الموضوعات الواقعية ينبغي فهمها والمعطيات المثالية ينبغي تكوينها"[119] ويتم هذا الإطار من خلال القصد" فالموضوع القصدي الأدبي ينقصه التحديد الكامل بقدر ما تشتغل الجمل في النص باعتبارها موجها،على اعتبار أن التسلسل القصدي للجمل مهم وذلك: أن كل جملة تمثل مقدمة

---

[117] _المرجع نفسه . ص: 88.

[118] ـــــــفرانك شويروجن ، نظريات التلقي . ص 78.

[119] ـــــــ ايزر ، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب ، ص 89.

للجملة التالية وتشكل نوعا من التعيين لما سوف يأتي، وهذا بدوره يغير من وضع المقدمة وتتحول بذلك إلى تعيين لما تمت قراءته، وايزر يستخدم مفهوم مواقع اللاتحديد للتمييز بين الموضوع القصدي والموضوعات الأخرى، من خلال لانهائية المعنى الذي تفترضه هذه المواقع، فهي تنبني على الموضوع القصدي المفتوح، وهنا تبدأ مهمة ملأ الفراغات لإسقاط جملة من الاحتمالات على هذه الثغرات بمعنى:" أن الفجوات أو الفراغات هي المناطق غير المعبر عمها في الخطاب والتي تناط بالقارئ مهمة تعبئتها مما يؤدي إلى إنتاج المعنى نتيجة التفاعل القائم بين النص والقارئ".[120]

وضمن إطار التعاضد النصي يحاول القارئ النموذجي ان يبني نصه من خلال ما يتوقعه ، وهنا يطرح ايكو سؤالا مهما كيف يتوقع النص قارئه ؟

يقول ايكو :" فأن يُكوِّن المرء نصا يعني أن يضع حيز الفعل استراتيجية ناجزة تأخذ في اعتبارها توقعات حركة الآخر ، شأن كل استراتيجية وعليه فأن الاحترابِّي إذ يكون يكون حيال استراتيجيته الحربية فإنه غالبا ما ينصرف إلى رسم صورة خصم نموذجي "[121]

غير أن أفق التوقع يتم دوما كما يقول ياوس" إن تحليل التجربة الأدبية للقارئ تفلت من النزعة النفسانية التي هي عرضة لها لوصف تلقي العمل والأثر الناتج عنه، إذ كانت تشكل أفق انتظار جمهورها الأول بمعنى الأنظمة المرجعية القابلة للتشكل بصورة موضوعية والتي تكون بالنسبة لكل عمل في اللحظة التاريخية التي يظهر فيه نتيجة عوامل ثلاثة أساسه هي:

- التجربة المسبقة التي اكتسبها الجمهور من الجنس الذي ينتمي إليه "النص".
- شكل وموضوعية الأعمال السابقة التي يفترض معرفتها.

---

[120] ـــــــحامد أبو احمد ، القاريء و الحكاية ، ص 78.

[121] ـ امبرطو ايكو ، القارئ في الحكاية . ص: 67.

- والتعارض بين اللغة الشعرية واللغة العلمية أي التعارض بين العالم التحليلي والواقع اليومي.[122]
- إن ياوس من خلال هذا التنظير يحاول أن يوفر للأفق طبيعة متعالية transcendantal يحافظ فيه الثقافي على بعض خصائصه حينما يساق العمل الأولي إلى القراءة، فهذا الجانب يساعد العمل المقروء في تشكيل الجمالي الذي شكل الجدل بين أفق التشكل وزمن القراءة (لحظة التلقي).و عموما قضية القارئ و النص و المؤلف و القصديات نجدها مكررة في مشروع ايكو فيكتبه الثلاثة ؛

_ التأويل بين السيميائيات و التفكيكية .

_القاريء في الحكاية .

_السميائيات و فلسفة اللغة .

أما كتابه المترجم بـــ" العلامة المفهوم و تاريخه " فهو كذلك من أهم الكتب التي تعكس توجع ايكو السيميائي حيث يحاول الكتاب أن يضع تأصيلا نظريا لعلم السيمياء و يتبع التحديدات الدقيقة لمفهوم العلامة في فضاء استراتيجي يتسم بالتبسيط الجميل . لذلك افترض في بداية الكتاب قصة تقريبية عن السيد " سيغما" وهو مواطن ايطالي يقضي عطلته في باريس[123] و بدأ السيد سيغما يشعر بألم في معدته ، فهو يشعر بألم ما لكنه لم يحدده بدقة لذلك سيحاول البحث عن طبيب لينقل له هذه الإحساسات التي تنتابه .هذه الأحاسيس مفارقة لجوهر الطبيب حيث ان الاخير يدرك مشاعر مرض السيد سيغما من خلال العلامات ، فالأخير كما قلنا رجل ايطالي غريب عن باريس سوف يبحث عن طبيب في منطقة باريس في دليل الهاتف ومن خلال جملة من العلامات الطباعية تميز

ـــــــ حافيظ اسماعيل علوي ، المرجع السابق . ص ص 88 ، 89.[122]

_ امرطو ايكو ، العلامة ؛ تحليل المفهوم و تاريخه . ترجمة سعيد بنكراد . المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء / بيروت . ط1. 2007. ص : 27.[123]

الطبيب المتخصص عن غيره ، وهنا سيخوض السيد سيغما جملة من المراحل ليصل إلي الطبيب المذكور إذا فتعامل السيد سيغما المبدئي سيكون مع جملة من العلامات التحديدية و التقريبية للطبيب انطلاقا من الهاتف إلى الإشارات الدالة على عيادته إلى عشرات العلامات التي يتعامل مه المريض للوصول إلى الطبيب .

وحين سيصل السيد سيغما إلى الطبيب فإنه سيخوض تجربة تفسير تلك الأحاسيس للطبيب و بالتأكيد فإن الطبيب سيفهم المريض لا من شعوره به و إنما لفهمه لجملة من العلامات ، لذلك سيكشف الطبيب على المريض ليجد بقعا حمراء غير منتظمة علامات معينة ليفهم الطبيب أن السيد سيغما أسرف في الشرب كثيرا ..فيعترف السيد سيغما بذلك ، فالتعامل هنا يكون من خلال العلامات التي تعني في تفسر ضمن محيطها و ضمن سياقها الخاص ، لأن العلامات تختلف من محيط لآخر ؛ما يتعامل به الفلاح في الريف غير الذي يتعامل به سكان المدن فالعلامات ومنطقها يختلف باختلاف البيئة .

والعلامة في توسعها الدلالي قد نعني بها : سمة أو تمثال أو إشارة دليل، و بالتالي فإن الفكرة التي تقول بان الإنسان حيوان رمزي هي فكرة ذات طبيعة فلسفية وعليه ؛إن امبرطو ايكو حدد اشتغاله المبدئي و الأساسي في هذا الكتاب هو مساءلة العلامة مساءلة فلسفية يقول :" ومادام الامر كذلك فإننا سنتصرف في جزء هام من هذا الكتاب بطريقة لا تذكر بالخطاب الفلسفي الأكاديمي لأن السائد هو الاعتقاد بأنه من الأجدي لنا الحديث عن العلامة بلغة فلسفية [124].

سنحاول أن نقدم وصفا تقنيا لظاهرة عملية التوليد الدلالي (السميوز)سنحلل اشتغالها الملموس و سنجازف بتقديم تعارف جزئية و بدون هذه الطريقة لا يمكن تأسيس فلسفة

---

[124] ـ المرجع السابق . ص: 40 .

للعلامة ..."[125]وعليه يمكن النظر للعلامة من ثلاثة أبعاد : بعد دلالي ، بعد تركيبي، بعد تداولي .

لكن ما العلامة ؟ سؤال يطرحه ايكو للوصول إلى تحديد هذا الكيان ، عن العلامة كل كيان يمكلك مدلولا و لا يمكن أن تكون العلامة كذلك إلا إذا تم تأويلها باعتبارها علامة على كل شيء من لدن مؤول .

وعليه فقد أورد ايكو جملة من التعاريف المعتمدة للعلامة :" هي السابق الصريح للاحق ، ولاحق السابق هو كذلك عندما تكون هناك نتائج مشابهة تمت ملاحظتها وكلما قلت ملاحظة هذه التائج تم التشكيك في وجود العلامة "[126] وهناك تعريف الأكثر شهرة و ذيوعا هو تعريف لـــ أباغنانو حين يعرف العلامة بأنها :" كل شيء أو حدث يحيل على شيء ما أو حدث ما " و العلامات نوعان أساسيان هما : علامات إصطناعية و أخري طبيعية ، أما الإصطناعية منها ما أنتج قصد الدلالة ومنها ما انتج قصد الوظيفة ، أما العلامات الطبيعية منها ما يتماهي مع الأشياء أو أحداث طبيعية ومنها ما يصدر بشكل طبيعي عن كائن بشري مثلا الأعراض الطبية و الأعراض النفسية[127] .

ونكون هنا قد وقفنا على أهم الإشارات التحديدية لما وسمناه بمشروع ايكو نحو تأويل منفتح من خلال القيام على

_ القيام على حركة التأويل في التاريخ .

_القيام على تحديد المفاهيم و تتبع حراكها التاريخي من خلال نماذج تطبيقية .

_القيام على النشاط الدينامي للنصوص و تعضديتها الحيوية .

---

[125]. _ المرجع نفسه . ص: 40

[126]. _ المرجع نفسه . ص: 67

[127]. _ المرجع نفسه . ص: 72

الحجاج و المحادثة في النص السردي:

تبحث هذه الدراسة في منازع البحث التداولي بمختلف تفاصليه وروافده ،بل بمختلف مصباته ومرجعياته التي صاغت لنا نظرية محكمة البناء ، معضودة بجهاز مقولاتي ثابت وراكز ، وإن البحث التداولي يفضي بنا إلى معينة جملة الأواليات التي تستقيم بها هذه النظرية ، وفي سياق الحديث عن التداولية نشير إلى أن هذا المصطلح له رسوخ معرفي هام في التراث العربي الإسلامي و نقصد به تلك المباحث التداولية المبثوثة في كتاب النحاة و الأصوليين و البلاغيين.

و لفظة التداولية تخزن جملة من الشحنات الدلالية فـــــــــ:"من المعروف أن الفعل "تداولي"في قولنا "تداول الناس كذا بينهم" يفيد معنى تناقله الناس و أداروه فيما بينهم و من المعروف أيضا أن مفهوم "النقل" و مفهوم الدوران يستعملان في نطاق اللغة الملفوظة كما هما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة ، فيقال نقل الكلام عن قائله بمعنى رواه عنه ، كما يقال "نقل الشيء عن موضعه " أي حركه منه و يقال "دار على الألسن" بمعنى جرى عليها كما يقال دار بالشيء بمعنى طاف حوله فالنقل و الدوران يدلان بذلك في استخدامهما اللغوي على معنى النقلة بين الفعلين أو قل على معنى التفاعل فيكون التداول جامعا بين جانبين اثنين هما : التواصل و التفاعل "[128].

[128] - طه عبد الرحمن ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، المركز الثقافي ،ط2،لبنان ،الدار البضاء ص : 244.

و عليه نجد أن التداولية هي العلم الذي يختص بالتواصل حيث يدرس الظواهر اللغوية في مجال استعمالها، أو قل إن هم التداولية هي:"التواصل اللغوي و تفسيره"[129].

و تهتم التداولية بعلاقات الدوال بمستعمليها و بمقاصدها و تأثيرها .

La pragmatique qui s'intéresse aux relation des signes avec leurs utilisateurs a leurs emploi et leurs effets[130] .

و تخضع هذه الاستعمالات اللغوية عادة لسياقات التلفظ ، التي تساهم بشكل كبير في تحديد المعنى ، ويرى مسعود صحراوي من خلال كتابه :"التداولية عند العلماء العرب " : "أن أقرب حقل معرفي إلى التداولية في منظرنا هو اللسانيات" [131] ، بمعنى أن التداولية تتقاطع مع البحث اللساني في بعض المفاصل و المنازع فهي تؤسس نفسها مجالا مستقلا و هذا لا ينف عنها التداخل مع باقي الاختصاصات المعرفية ، غير أن طه عبد الرحمن جعلها ثالثة ثلاثة .

أي جعلها قسما أو فرعا من فروع اللسانيات الثلاثة فقال :" و نقسم اللسانيات التقسيم الثلاثي التالي :

أ- الدّاليات : نقصد بها الدراسات التي تختص بوصف – و إن أمكن بتفسير- الدال الطبيعي في نقطه و صوره و علاقاته و بهذا تكون الدّاليات عندنا شاملة للأقسام الثلاثة المشهورة : الصوتيات و الصرفيات و التركيبات.

---

[129]– مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، دار، الطليعة بيروت ، الطبعة الأولى 2005.ص 16.

[130] - Dominique mainquneau .les termes clés de l'analysz du discours .édition du seuil 1996.p.65

[131] -مسعود صحراوي ،المرجع السابق ص:16

ب- الدّلاليات: هي الدراسة التي تختص بوصف – و إن أمكن التفسير- العلاقات التي تجمع بين الدوال الطبيعية و مدلولاتها سواء اعتبرت تصورات في الذهن أو أعيانا في الخارج.

ج- التداوليات : هي الدراسات التي تختص بوصف – و إن أمكن التفسير – العلاقات التي تجمع بين الدوال الطبيعية و مدلولاتها وبين الدالين بها "[132].

ثم يقسم التداولية إلى أبواب أهمها :

- باب أغرض الكلام.

- باب مقاصد المتكلمين.

- باب قواعد التخاطب .

و هنا ندحض قول خولة طالب الإبراهيمي التي اعتبرت أن :"أول من استعمل هذا المصطلح في اللغة العربية هو أحمد المتوكل " [133]،ولكنها تداركت الأمر في آخر مقالها بقولها :"يبدو أن طه عبد الرحمن هو الذي اقترح هذا المصطلح و أن أحمد المتوكل تبناه"[134]، وهذا الذي يؤكده طه عبد الرحمن بقوله :"وقد وقع اختيارنا على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي برغماتيكا"[135].

---

[132] - طه عبد الرحمن ، في اصول الحوار و تجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، بيروت الطبعة الثانية 200.ص :28.

[133] - خولة طالب الابراهيبي ، عن التداولية .مجلة اللغة و الادب . العدد16.ديسمبر2003 .جامعو الجزائر ص:115.

[134] -المرجع نفسه .ص: 124.

[135] - طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام .ص:28.

و انطلاقا مما تأسس وعود على بدء نقول أن التداولية علم تساوق مع ميلاد العلوم المعرفية كما يقر بذلك آن روبول و جاك موشلار في كتابيهما :" التداولية اليوم،علم جديد في التواصل" "يكاد تاريخ ميلاد العلوم المعرفية يتطابق و تاريخ ميلاد التداولية فلقد ألقى أوستين محاضرات وليام جيمس سنة 1956 و صدرت بعض المقالات المهمة التي سلكت انطلاقة العلوم المعرفية "[136].

و تعني التداولية في رأي: " موريس بالعلاقات و مستخدميها (...) و استقر في ذهنه أن التداولية تقتصر على دراسة ضمائر التكلم و الخطاب و طرفي المكان و الزمان (الآن،هنا) والتعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيا خارج اللغة نفسها،أي من المقام الذي يجب فيه التواصل "[137].

فعندما ألقى الفيلسوف جون أوستين محاضرات وليام جيمس 1955 :"لم يكن يفكر في تأسيس اختصاص فرع للسانيات فلقد كان هدفه تأسيس أختاص فلسفي جديد هو فلسفة اللغة (..) كانت غاية بغية المحاضرات التي ألقاها أوستين سنة 1955 و ضع أسس الفلسفة التحليلية .

الأنجولوسكونية في تلك الحقبة موضع سؤال ، وهو أساس مفاده أن اللغة تهدف خاصة إلة وصف الواقع "[138].

و منهم جمع الدراسة بين الحقلين لتنتج " اللسانيات التداولية" و هذه الأخيرة نشأت أساسا من قلب الفلسفة التحليلية و نظرية الفلسفة التحليلية تدور بالأساس حول ثلاثة اهتمامات هي :"– ضرورة التخلي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم و خصوصا جانبه المتافيزقي ،– تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع نظرية المعرفة إلى موضوع التحليل اللغوي

---

[136] - آن روبول و جاك موشلار .التداولية اليوم ،علم جديد في التواصل .ترجمة : سيد الدين دعفوس.محمد الشيباني.دار الطليعة للطباعة لبنان .الدار البيضاء.ص :51.

[137] -المرجع نفسه .ص: 29

[138] -المرجع نفسه .ص: 29.

،– تجديد و تعميق بعض المباحث اللغوية و لاسيما مبحث الدلالة و الظواهر اللغوية المتفرعة عنه "[139].

وبهذا انقسمت الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة فروع أو اتجاهات كبرى هي :

– الوضعانية المنطقية .

– الظاهرتية اللغوية .

– فلسفة اللغة العادية .

و لعل الأخيرة أي مبحث فلسفة اللغة العادية أهم المباحث على الإطلاق التي أنتجت مصطلح الأفعال الكلامية :"فلم يبقى إذن ، ضمن الاهتمامات التداولية في تلك التيارات الثلاثة إلى تيار فلسفة اللغة العادية أي الذي أسسه الفيلسوف لود فيتغنشتاين و المادة الأساسية للفلسفة عند فيتغنشتاين هي اللغة (...) فاللغة هي المفتاح السحري الذي يفتح مغاليق الفلسفة بل كان يعتقد أن الخلافات و التناقضات المنتشرة بين الفلاسفة سببها الأساس سوء فهمهم للغة أو إهمالهم لها ،و راح يطور فلسفته الجديدة التي توحي بمراعاة الجانب الاستعمالي في اللغة فالاستعمال هو الذي يكسب تعليم اللغة و استخدامها "[140]، فالتداولية إذا ارتبطت نشأتها :"بعلاقة العلامة اللغوية بمستخدميها و ارتباط بعض صيغها بما تحيل عليه في المقام و تؤكد مع أوستين أن اللغة لا تكتف بمجرد وصف الكون و الأخبار و التواصل بل هي أداتنا لإنجاز أعمال لا تتحقق إلا بواسطة اللغة المؤثرة في المقام ولعل انصرافها إلى المقام جعل البعض يرى فيها العلم الذي يدرس تأثير المقام في

---

[139] - مسعود صحراوي . التداولية عند العرب .ص 22.21.

[140] - المرجع نفسه . ص: 23

معنى الأقوال"[141]، و بهذا تطورت اللسانيات التداولية من خلال المحصول اللساني الذي تركه أوستين و سيرل فأفكرهما التداولية :"تسعى إلى أن تكون مندمجة في اللسانيات لا لتكملة لها ، بل كجزء لا يتجزء منها " و اللسانيات التداولية عموما كما يقول موشلار :

la pragmatique linguistique est l'étude sens des énonces en contexte[142]

التداولية اللسانية هي دراسة معنى الملفوظات في السياق ، وهنا تدافعت ما يسمى بالتداولية المندمجة كما نظر لها ازوالد ديكرو ولعل أهم مسألة لغوية ضخت تطور التداولية المندمجة:"وتعني بذلك مسألة الاقتضاء بإمكاننا بكل بساطة وصف الاقتضاء بأنه المضمون الذي تبلغه الجملة بكيفية غير صريحة"[143].

ولعل أهم المصطلحات التي عيانتها التداولية هي :

Les implicites– متضمنات القول

– الاستلزام الحواري أو المحادثي .

Théorie la pertinence– نظرية الملائمة

Acte du lange– الفعل الكلامي

ولعل النفاذ إلى الرواية موضوع البحث يحتاج امتلاك الأدوات التحليلية الكافية و هنا سنركز على دعامتين أساستين هما : الحجاج و المحادثة ، بالإضافة إلى أن نصية الرواية

---

[141] - آن روبول ، جاك موشلار .المرجع السابق .ص :264.

[142] – j.moesler.argumentation et conversation .éléments pour une analyse – pragmatique du discours .hatier paris 1985.p.23.

[143] -آن روبول ،جاك موشلر ،المرجع السابق ،ص: 4

لا تتحقق إلا بتوفر ملمح التضام الذي تشكله خاصية الاتساق و الانسجام ، يقول مخائيل باختين :"الحوار- تبادل الكلمات – هو الشكل الطبيعي جدا للغة"[144] ، و يعمل نظام المحادثة على ترتيب النص و فق نسقية خاصة تتم بالانسجام الداخلي لأن المحادثة نظام تتداخل فيه جملة ممن القواعد التركيبية و الدلالية والتداولية.

و هذا التأصيل يردنا على باختين الذي كان يعتبر أن :"اللغة لا كينونة جامدة أو نسقا قارا من الدلائل و إنما فاعلية تواصلية حية تحكمها منظومة من العلاقات المجتمعية المتفاعلة (...) فهذا الانعطاف اللساني عند باختني ترتب عليه منظور جديد إلى اللغة يترع نحو الشمول و التكامل و يجعل منها فعالية حوارية بامتياز"[145].

"كما أن لفظة التخاطب – الواردة بصيغة التفاعل- موضوعا لهذه التداوليات تدعمه جملة من داخل نظرة باختين إلى اللغة ، فهذه الأخيرة عنده ممارسة تفاعلية تقوم بين ذوات متكلمة و أخرى مستمعة محكومة بعلاقات انتماء إلى نفس المجموعة الاجتماعية و يتم التبادل اللغوية بينها عن طريق ملفوظات أو خطابات يتعامل معها باختين على أنها نتاج لعلاقة التفاعل الاجتماعي بين المتخاطبين "[146].

و أصول التخاطب عند باختين على نوعيتين[147] :

dialogiseme- ممارسة تخاطبية قائمة على الحوارية

monologisme- ممارسة تخاطبية قائمة على المونولوجية

---

[144] -catherime kerbat orecchioni . la conversation. édition de seuil 1996.p4.-

[145] – محمد الحيرش ، تداوليات التخاطب عند باختين ، مجلة تطوان .ص156.

[146] -المرجع نفسه.ص: 157.

[147]

وعند باخت[148]ين كل مخاطبة تتضمن مستويين أحدهما لغوي و الثاني غير لغوي فهو مقامي حيث يفرع باختين المقام إلى ثلاثة مظاهر :

- الفضاء المكاني المشترك بين المتخاطبية =وحدة المكان

- معرفة المقام و فهمه المشترك = وحدة الزمان.

148